جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي–

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

المقاصـــد القرآنيـــــة فـي ســـــــورة الحجـــــــــــــرات

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية – تخصص –: التفسير وعلوم القرآن.

إعداد الطالبـــــة:

بـــدرة حوامدي

إشـــــــراف:

أ.د. عبد الكريم بوغزالــة

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م

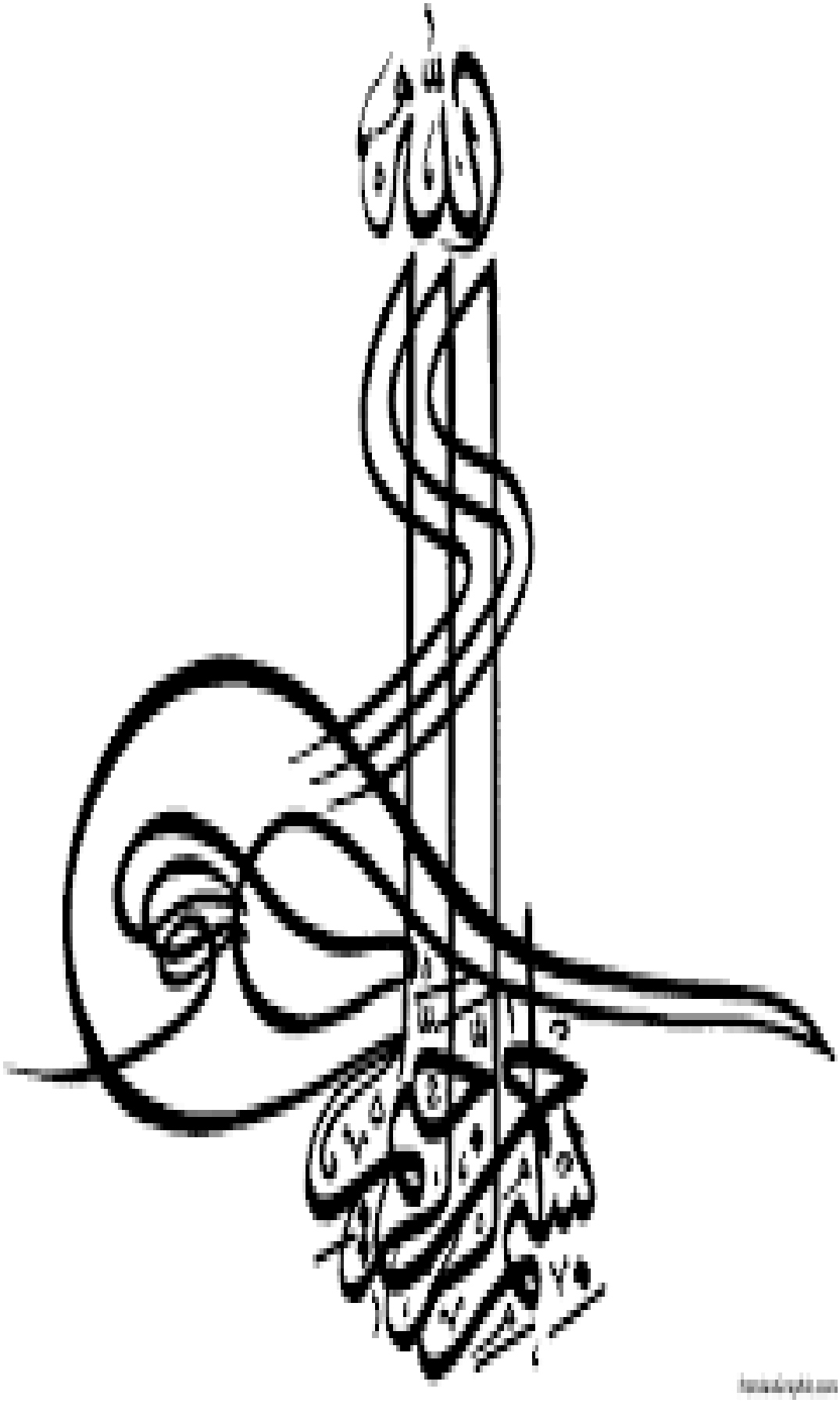

إهـــــــــــداء

إلى من سهرت على تربيتي، إلى من انتظرت مثل هذا اليوم، إلى من أوصاني بها ربي

إلى والدتي حفظها الله ورعاها.

إلى من سهر على تعليمي وتوجيهي لطلب العلم، إلى من أوصاني به ربي

إلى والدي حفظه الله ورعاه.

إلى محبي العلم وأهله .

إلى إخوتي وأخواتي وأزواجهم وأبنائهم.

إلى أعمامي وعماتي وعائلتهم.

إلى أخوالي وخالتي وعائلتهم.

إلى كل صديقاتي، ومن تربطني بهم أواصر الأخوة.

أهدي ثمرة هذا البحث المبارك.

الطالبة: بدرة حوامدي.

شكـــر وعرفـــــان

أحمـد الله عزوجـل وأشـكره علـى عظـيم نعمتـه، وكرمـه بـأن وفقـني لإتمـام هـذا البحث.

أتقـدم بجزيـل الشـكر وعظـيم الامتنـان إلى أسـتاذي الفاضـل، والموجـه الناصـح، إلى مـن أفـرغ لنـا مـن جهـده ونفـيس وقتـه، مـن أجـل الوصـول إلى هـذا المسـتوى، إلى مـن تكرم بالإشراف على هذا البحث شيخي الأستاذ الدكتور: عبد الكريم بوغزالة.

والشـكر موصـول أيضـا إلى أسـاتذتي الفضـلاء الـذين أنـاروا لنـا طريـق العلـم طـوال دراستنا بالجامعة.

كمـا أتقـدم بالشـكر إلى كـل مـن سـاعدني في إنجـاز هـذا البحـث مـن قريـب أو مـن بعيـد وأخـص بالـذكر: الأسـتاذة حوامـدي حميـدة، ليلـى منصـور، مـني حوامـدي، الطاهر شرقي.

وفي الختام أقول للجميع جزاكم الله خيرا.

الطالبة: بدرة حوامدي

ملخص البحث

تناول هذا البحث المقاصد القرآنية في سورة الحجرات، دراسة موضوعية، وذلك باستقراء آيات السورة وبيان مقاصدها.

وذلك من خلال تعريف المقاصد وبيان درجاتها وأهميتها في فهم القرآن الكريم، ثم التعريف العام بسورة الحجرات، ثم ذكر مناسباتها، ثم قمت بدراسة مقاصد سورة الحجرات، وذلك بتقسيم السورة إلى مقاطع، حيث جعلت لكل مقطع عنوان، ثم ذكرت مناسبة آيات كل مقطع لما قبلها، ثم تحدثت عن المعنى العام للآيات، ثم بينت مقاصد الآيات وعلاقة آيات كل مقطع بمحور السورة، وفي الختام ربط الآيات بالواقع.

وتوصلت في هذا البحث إلى نتائج من أهمها اشتمال سورة الحجرات على مقاصد عظيمة، منها الحث على طاعة الله ورسوله ﷺ، والأمر بالتحلي بالأخلاق الحسنة، وتقدير إنعام الله علينا بالإيمان وشكره على ذلك.

Abstract:

This research purposes Qur'an in Surat alhojorat, objective study, by extrapolating the verses of Sura and a statement of its purposes.

Through the definition of objectives and the statement of grades and their importance in the understanding of the Koran, Then the general definition of Surat alhojorat, then mentioned suitability, Then I study purposes Surat alhojorat, By dividing the image into sections, An interview made for each section title, Then stated suitable verses of each section to before, Then he talked about the general meaning of the verses, Then show purposes verses relationship verses each section axis Sura, In conclusion, linking verses reality.

The findings in this research to the most important results from the inclusion of Surat alhojorat on the great purposes, Urging them to obey Allah and His Messenger, And it is to act with good moral character, Yes we estimate the God of faith and thanked him for it.

لمقدمة

الحمـد الله الـذي أنـزل القـرآن وجعلـه فرقانـا، وبَّـين فيـه حـدوده وأحكامـه تبيانـا، وأمـر فيـه بالتحـاكم إليـه وجعلـه للنـاس إمامـا وبرهانـا، هـو الحكمـة البالغـة والحجـة الدامغـة، مـن قـال بـه صـدق، ومـن عمـل بـه أُجِـر، ومـن دعـا إليـه هـدي إلى صـراط مسـتقيم، والصـلاة والسـلام علـى صـاحب المقـام المحمـود، والحـوض المـورود، نبينـا محمـدﷺخـاتم الأنبيـاء وإمـام المرسـلين، جـدد الله تعـالى بـه دعـوة السـماء، وأحيـا بـه سـنة الأنبيـاء، ونشـر بدعوتـه آيـات الهدايـة، وأتم بـه مكـارم الأخلاق، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إن علـم التفـسير مـن خيـر العلـوم وأشـرفها، لأنـه يتعلـق بكـلام الله تعـالى، فقـد اعتـنى المسـلمون بـالقرآن الكـريم منـذ فجـر الإسـلام عنايـة جليلـة، وأولـوه مكانـة عظيمـة، ودرسـوا مختلـف العلـوم لخدمتـه، فنمـت علـوم القـرآن وترعرعـت، حـتى أصـبح لكـلٍ منهـا علـم خـاص بهـا، ومـن ثَمَّ تعـرف العلمـاء مـن خـلال هـذه العلـوم علـى أسـرار القـرآن الكـريم ومقاصـده، الـتي مـن خلالـها يـتم التعـرف علـى المقاصـد الأساسـية للقـرآن الكـريم وكيفيـة تحقيقهـا فـي حيـاة المـسلمين، ومـن المؤكـد أن مـا مـن آيـة في القـرآن العظـيم إلا وتحمـل في طياتهـا معـنى أو فائـدة أو حكمـة أو تشـريع، لأنـه كـلام الله المعجـز، كـل آيـة منـه تحتـوي عـددا مـن المقاصـد والأغـراض الـتي إن كشـف عنهـا السـتار كانـت دواء ناجعـاً لمعضـلة أو أكثـر، وعنـد دراسـة الكتـب والدراسـات والأبحـاث العلميـة التـي تناولـت مقاصـد القـرآن وأهدافـه مـن خـلال آياتـه وسـوره وجـدت أنهـا تبـني مجتمعـاً إسـلامياً سـليماً قويـاً راسـخاً بأسـس ثابتـة منيعـة، فتراهـا تـزرع الإيمـان والتوحيـد والعقيـدة الصـحيحة فـي قلـب الفـرد والمجتمـع المسـلم، وتوجـد فيـه الأخـلاق والعلـم ثم تغـرس فيـه المبـادئ والقـيم التـي تضـبط العلاقـة بـين الأفـراد والجماعـات، وبعـد ذلـك تـنظم حيـاة المجتمـع والدولـة الإسـلامية، حيـث العلاقـات الداخليـة، وبنـاء وتسـيير أمـور الحيـاة فلابـد مـن تـدارس الكتـاب المبـين وتـدبره، وفهـم معانيـه، وتطبيـق مـا جـاء فيـه، لنيـل سـعادة الـدنيا، والفـوز بجنـة الآخـرة، فقـد جـاء وافيـاً بجميـع مطالـب الحيـاة الإنسـانية، لأنـه بحـر زاخـر بشـتى العلوم والمعارف والمبادئ والقيم والتوجيهات، فما أحوجنا إليه في هذا الوقت.

ومـــن هـــذا المنطلـــق توكلـــت علـــى الله واســـتعنت بـــه للبحـــث في مقاصـــد القـــرآن الكـــريم وبالتحديـد في مقاصـد سـوره، فكـان اختيـاري لسـورة الحجـرات الـتي تتضـمن موضـوعاتها جملـة مـن المقاصـد الأخلاقيـة والتربويـة، الـتي لهـا دور كبـير في ترسـيخ آداب وأخـلاق المدَنِيَـة الفاضـلة في الفرد والمجتمع، فأردت دراستها دراسة موضوعية تحت عنوان:

المقاصد القرآنية في سورة الحجرات.

إشكالية البحث:

عُـني القـرآن الكـريم بالعديـد مـن الدراسـات، وتنوعـت حولـه اجتهـادات العلمـاء والمفسـرين ممـا نـتج عنـه فنـون متعـددة وعلـوم مختلفـة، منهـا مـا يتعلـق بنظمـه ولغتـه، ومنهـا مـا يتعلـق بآياتـه وسـوره، ومما لـه تعلـق بسـوره علـم مقاصـد السـور، ومـن ذلـك سـورة الحجـرات فمـا هـي المقاصـد القرآنية التي احتوتها هذه السورة الجليلة؟

وانطلاقا من هذا الإشكال الرئيس يتبادر إلى الذهن إشكالات فرعية منها:

1- ما هو تعريف المقاصد وما هي درجاتها؟

2- أهمية المقاصد في توضيح مغزى القرآن الكريم؟

3- ماهي المقاصد التي احتوتها سورة الحجرات؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع فما يلي:

1- تعلـق الموضـوع بعلـم التفسـير، وتعلـق علـم التفسـير بأشـرف الكتـب وأجلهـا، ألا وهـو القرآن العظيم.

2- النظـر في القـرآن بطريقـة مقاصـدية ممـا يجلـي تكاملـه في معالجـة الواقـع، وأخـص بالدراسـة سورة الحجرات.

3- إبراز مقاصد القرآن من خلال دراسة مقاصد سورة الحجرات.

4- إبراز المواضيع الأخلاقية والتربوية في سورة الحجرات.

دوافع اختيار الموضوع:

ترجع دوافع اختياري لهذا الموضوع للعوامل الآتية:

دوافع ذاتية:

1- الرغبة الشخصية في الاطلاع على مقاصد السور.

2- كون موضوع مقاصد السور بكر لم يتناوله الكثير بالدراسة.

3- عدم وجود دراسة علمية متخصصة في مقاصد سورة الحجرات.

دوافع موضوعية:

1- الإسهام في خدمة علم المقاصد.

2- إبـراز مقاصـد سـورة الحجـرات ودورهـا في ترسـيخ الإيمـان، وغـرس الأخـلاق، والعنايـة بالقرآن والتحاكم إليه.

3- إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة خاصة في مقاصد سورة الحجرات.

أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث فيما يأتي:

1- دراسة مقاصد السورة وبيان أهميتها.

2- استقراء آيات السورة وبيان مقاصدها.

3- إظهـار الموضـوعات الـتي تعرضـت لهـا السـورة بمـا يظهـر الحقيقـة المـراد ترسـيخها في المجتمـع الإسلامي.

4- بيان الأخلاق التي عالجتها السورة.

5- إظهار المقاصد القرآنية في السورة وربطها مع محور السورة.

6- ربط مقاصد الآيات بواقع المسلمين.

الدراسات السابقة:

لقـد درس العلمـاء مقاصـد سـور القـرآن الكـريم، فبعضـهم تحـدث عنهـا في جـزء مـن كتابـه، وبعضهم أفردها في مؤلف خاص، وهذه الدراسات كالأتي:

1- نبذ من مقاصد الكتاب العزيز للعز بن عبد السلام المتوفى سنة 660هـ.

2- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور لإبراهيم البقاعي، المتوفى سنة 885هـ.

3- فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب القنوجي، المتوفى سنة 1307هـ.

4- البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي، المتوفى سنة 708هـ.

5- البرهان في علوم القرآن للزركشي، المتوفى سنة 794هـ، تحدث فيه عن مقاصد القرآن.

6- بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي، المتوفى سنة 817هـ.

7- الإتقـان في علـوم القـرآن، ومعـترك الأقـران للسـيوطي، المتـوفى سـنة 911هـ، تحـدث فيهمـا عن مقاصد القرآن.

أمـا فيمـا يخـص موضـوع بحثـي لم أجـد- فيمـا بحثـت- مـن تنـاول مقاصـد سـورة الحجـرات دراسـة مقاصـدية وموضـوعية، إلا أنـه يوجـد دراسـات مشـابهة لموضـوع البحـث في سـور أخـرى من سور القرآن الكريم وهي كالأتي:

1- أهـداف ومقاصـد موضـوعات سـورة التوبـة –دراسـة تحليليـة – للطالـب:حسـن عبـد الله طه الخطيب رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بغزة، 1429هـ-2008م.

2- الدراسـة التحليليـة لمقاصـد وأهـداف الحـزب الثـامن عشـر مـن آيـة 171 مـن سـورة الأعـراف إلى آيـة 04 مـن سـورة الأنفـال، للطالـب: زيـاد حمـزة علـي عبيـد، الجامعـة الإسـلامية، غزة، 1432هـ- 2013م.

3- الدراسـة التحليليـة لمقاصـد وأهـداف الحـزب الرابـع عشـر مـن القـرآن الكـريم سـورة الأنعـام مـن آيـة 36-110، للطالـب: أيمـن عبـد الحميـد أبـو سـويرح، رسـالة ماجسـتير، الجامعـة الإسلامية، غزة، 1435هـ- 2013م.

4- الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع من القرآن الكريم من سورة آل عمران من آية 93-170، للطالب: إبراهيم داود سلام درغام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 1434هـ- 2013م.

5- الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع والعشرين من القرآن الكريم الآية 1 من سورة الحجر إلى الآية 50 من سورة النحل، للطالبة: ولاء جمال كريم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 1436هـ- 2015م.

6- مقاصد سورة يونس عليه السلام- دراسة موضوعية- للطلبة: برجوح إشراق، رسالة ماستر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1436هـ-2015م.

وفيما يخص دراسة سورة الحجرات فقد وجدت فيها عدة دراسات منها:

1- معوقات تطبيق المنهج الدعوي كما بينتها سورة الحجرات، لطالب خالد حسن محمد حسان، رسالة ماجستير، جامعة نابلس فلسطين، 2014.

2- التربية الأخلاقية في ضوء سورة الحجرات، إعداد عبد السلام حمدان اللوح، بحث مقدم لمؤتمر "التربية في فلسطين ومتغيرات العصر"، الجامعة الإسلامية غزة، 1426هـ/2004م.

3- سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية، ناصر بن سليمان العمر، بحث مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1413هـ.

منهج البحث:

لقد اتبعت في هذا البحث المنهج العلمي المتعارف عليه في كتابة البحوث العلمية والذي يحقق الأهداف المرجوة من هذا البحث، وفيما يأتي معالم هذا المنهج:

المنهج الوصفي في الفصل الأول الذي يتناول التعريف بالمقاصد القرآنية، وكذا التعريف العام بسورة الحجرات، وذكر مناسباتها.

المنهج الاستقرائي والتحليلي في الفصل الثاني، وذلك باستقراء آيات السورة وتحليل مقاصدها.

منهجية البحث:

كانت منهجية البحث على النحو الآتي:

1- عَـزَوْتُ الآيـات القرآنيـة إلى سـورها، وذلـك بـذكر اسـم السـورة ورقـم الآيـة في المـتن، بروايـة حفص عن عاصم، باستخدام مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي.

2- عنـد تفسـير آيـات سـورة الحجـرات أشـير إلى رقمهـا وسـورتها عنـد بدايـة كـل مطلـب، أمـا عند الشروع في تفسيرها وتقسيمها في المتن فلم التزم عزوها دائما.

3- خرجـت الأحاديـث النبويـة الشـريفة وآثـار الصـحابة مـن مظانهـا، فـإن كـان الحـديث أو الأثـر في الصـحيحين أكتفـي بـذلك، وإن كـان في غيرهمـا أقـوم بتخريجـه مـن كتـب السـنة الأخـرى، مـع بيـان درجتـه من أقـوال العلمـاء، فـإن لم أعثـر علـى درجتـه أقـوم بتخريجـه دون بيـان درجتـه، وتكـون طريقـة عـرض هـذه المعلومـات علـى النحـو الآتي: أذكـر المؤَلِـف ثم المؤَلَّـف، ثم الكتاب والباب، ثم رقمه ، ثم الجزء والصفحة، ثم درجة الحديث.

4- أذكـر المعلومـات الخاصـة بالكتـاب كاملـة في فهـرس المصـادر والمراجـع، وأقتصـر في الهـامش علـى ذكـر المؤَلَّـف، ثم المؤَلِّـف، ثم الجـزء إن وجـد ثم الصـفحة، قصـد الاختصـار وعـدم إطالـة الهامش.

5- فـإذا ذكـرت الكتـاب ثم أعـدت ذكـره بعـده مباشـرة، فـإني أشـير إليـه بـ "المصـدر نفسـه"، أو "المرجع نفسه"، كما أني اعتبرت كل التفاسير مصادر.

6- عزوت الأقوال إلى أصحابها قدر المستطاع، مع الحرص على أخذها من مظانها.

7- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في المتن، وذلك بالرجوع إلى الكتب المتخصصة في ذلك.

8- شرحت ما يشكل من الألفاظ، وذلك بالرجوع إلى الكتب المتخصصة في ذلك.

9- بالنسـبة للأقـوال فمـا ذكرتـه حرفيـا وضـعته لـه علامـة التنصـيص، وإذا كـان فيـه تغيـير بحـذف أو زيـادة جردتـه مـن علامـة التنصـيص، وأحلـت في الهـامش علـى مصـدر المعلومـة مشـيرة إلى ذلك بلفظ (ينظر).

10- أمـا عـن المسـلك الـذي سـلكته في الفصـل الثـاني، أي الدراسـة الموضـوعية- مقاصـد سورة الحجرات- فهو كالآتي:

أ- بـدأت بـذكر مناسـبة الآيـات لمـا قبلهـا في كـل المواضـع، مـا عـدى المطلـب الأول مـن المبحث الأول فإني ذكرت مناسبته من قبل في مناسبة السورة لما قبلها، تفاديا لتكرار.

ب- ذكرت المعنى العام للآيات.

ج- ذكرت مقاصد الآيات.

د- بينت علاقة الآيات بمحور السورة.

هـ- وختمت بربط الآيات بالواقع.

10- جعلت للبحث خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

11- ذيلت البحث بفهارس عامة مرتبة كما يلي:

ا- فهرس الآيات القرآنية.

ب- فهرس الأحاديث والآثار.

ج- فهرس الأعلام المترجم لهم.

د- فهرس المصادر والمراجع.

هـ- فهرس الموضوعات.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وفصلين وخاتمة.

المقدمة تناولت فيها عناصر الموضوع الأساسية من التقديم له، وذكر أهمية طرحه، وكذا دوافع اختياره وأهدافه، والدراسات السابقة فيه والمنهج المتبع، وكذا منهجية البحث فيه.

الفصل الأول تكلمت فيه عن تعريف المقاصد والسورة ومناسباتها، وجعلته في ثلاثة مباحث.

الأول في تعريف المقاصد وأدرجت تحته أربعة مطالب، الأول منها في تعريف المقاصد لغة واصطلاحا، والثاني في تعريف القرآن الكريم، والثالث في تعريف المركب الإضافي المقاصد القرآنية، والرابع في درجات المقاصد القرآنية وأهميتها.

والمبحث الثاني خصصته للتعريف العام بالسورة وضمنته خمسة مطالب، الأول منها في اسم السورة وعدد آياتها وترتيبها، والثاني في سبب نزول السورة، والثالث في زمان ومكان نزول السورة، والرابع في المحور الأساسي للسورة، والخامس في أغراض السورة.

والمبحث الثالث تحدثت فيه عن مناسبات السورة وأدرجت تحته أربعة مطالب، الأول في تعريف المناسبة لغة واصطلاحا، والثاني في مناسبة سورة الحجرات لما قبلها، والثالث في مناسبة سورة الحجرات لما بعدها، والرابع في مناسبة مطلع السورة لخاتمتها.

الفصل الثاني تحدثت فيه عن مقاصد السورة، وقسمته إلى ثلاثة مباحث أولها طاعة الله ورسوله والتأدب في الخطاب مع النبي ﷺ، واحتوى على مطلبين، الأول في طاعة الله ورسوله ﷺ، والثاني في التأدب في الخطاب مع النبي ﷺ، والمبحث الثاني تناولت فيه جملة من الأخلاق الوارد ذكرها في السورة، وضمنته ثلاثة مطالب، الأول في وجوب التثبت في الأخبار، والثاني في فض الخلاف والإصلاح بين المؤمنين، والثالث في آداب المؤمن مع المؤمن ومع الناس كافة، والمبحث الثالث تحدثت فيه عن أصول الإيمان الصحيح، وأدرجت تحته مطلبين، الأول في حقيقة الإيمان والإسلام، والثاني في عدم المن على الله تعالى بالدخول في الإسلام.

وأخيرا ذيلت البحث بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج المتوصل إليها وبعض التوصيات.

صعوبات البحث:

خلال مسيرتي في هذا البحث لم تواجهني صعوبات تذكر إلا ما كان من ضيق الوقت.

وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الفصـــــل الأول:

التعريف بالمقاصد القرآنية وسورة الحجرات

والمناسبات في السورة.

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المقاصد القرآنية ودرجاتها وأهميتها.

المبحث الثاني: التعريف العام بسورة الحجرات.

المبحث الثالث: المناسبات في السورة.

المبحث الأول:

تعريف المقاصد القرآنية ودرجاتها وأهميتها.

ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: تعريف القرآن الكريم.

المطلب الثالث: تعريف المركب الإضافي المقاصد القرآنية .

المطلب الرابع: درجات المقاصد القرآنية وأهميتها.

أتطرق في هذا المبحث -بإذن الله- إلى تعريف المقاصد القرآنية، وذكر درجاتها التي لها تعلق بدراسة سورة الحجرات، ثم توضيح أهميتها لتُعْلم مكانتها والحاجة إليها في تدبر القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحا.

الفرع الأول: لغة:

قصد: القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيءٍ وأَمِّه، والآخر على اكتناز في الشيء، أقصده السهم، إذا أصابه فقتل مكانه، وكأنه قيل ذلك لأنه لم يَحِد عنه، والأصل الآخر: قصدت الشيء كسرته، والقِصْدَة: القطعة من الشيء إذا تكسر، والجمع قِصَدٌ[1].

القصد استقامة الطريق، قصد يقصد قصدا، فهو قاصد، قال تعالى:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[النحل:9]، أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه، ومنها جائر أي ومنها طريق غير قاصد، وقصدت قصده: نحوت نحوه؛والقصد في الشيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير؛ والقصد في المعيشة: أن لا يسرف ولا يقتر[2].

"الْمَقْصِد مَوضِع الْقَصْد، الْمَقْصَد يُقَال إِلَيْهِ مقصدي: وجهتي"[3].

ومن جملة هذه التعاريف يتضح أنه من أقرب المعاني اللغوية لمعنى المقاصد هو طلب الشيء وإتيانه؛ والتوجه نحوه.

(1) – ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (95/5).

(2) – ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (3642/46).

(3) – المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (ص:738).

الفرع الثاني: اصطلاحا.

للمقاصد عدة تعريفات اصطلاحية؛ ذكرها العلماء المعاصرون في كتبهم وأبحاثهم؛ أما السابقون فلم يحددوا لها تعريفا مضبوطا، ومن تعريفات المعاصرين الآتي:

تعريف بن عاشور[1]:" مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام التشريع"[2].

تعريف الفاسي[3]:" المراد بمقاصد الشريعة، الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[4].

تعريف الريسوني[5]: "مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد"[6].

(1) – بن عاشور: هو محمد الطاهر بن عاشور ولد سنة 1296هـ، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عين عام 1932م شيخا للإسلام مالكيا، من مصنفاته: التحرير والتنوير، الوقف وآثاره في الإسلام، توفي سنة 1393هـ، ينظر: الأعلام، للزركلي، (174/6).

(2) – مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، (251).

(3) – علال الفاسي: هو علال (أو محمد علال) بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن المجذوب الفهري، زعيم وطني من كبار الخطباء و العلماء في المغرب، ولد سنة 1326هـ وتعلم بالقرويين، تولى وزارة الدولة للشؤون الإسلامية؛ ودَرّس بكلية الحقوق، من كتبه: النقد الذاتي، دفاع عن الشريعة، توفي 1394هـ، ينظر:الأعلام، للزركلي، (246/4-247).

(4) – مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، (ص:7).

(5) – الريسوني: أحمد بن عبد السلام بن محمد الريسوني ولد بشمال المغرب سنة 1953م، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمدينة القصر الكبير، وحصل فيها على شهادة الباكلوريا في الآداب العصرية، حصل على دبلوم الدراسات العليا (ماجستير) في مقاصد الشريعة سنة 1989م، ودكتوراه الدولة في أصول الفقه سنة 1992م، عضو مجلس الأمناء والمجلس العلمي لجامعة مكة المكرمة، من مؤلفاته محاضرات في مقاصد الشريعة. الموقع الرسمي لدكتور الريسوني: (www.raissouni.ma)، تمت زيارة الموقع يوم:23مارس2016م.

(6) – نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، (ص:7).

فجميع هذه التعريفات متحدة المعنى، وإن تباينت مبانيها فالخلاف بينها لفظي لا معنوي، وهى خاصة بمقاصد الشريعة؛ التي هي جزء من المقاصد القرآنية.

وخلاصة هذه التعاريف أن المقاصد هي الحِكم والأسرار والغايات من الأحكام التي وضعها الشارع لتحقيق مصالح العباد.

تناولت في المطلب السابق تعريف المقاصد لغة واصطلاحا، وفي المطلب الموالي سأتناول تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: تعريف القرآن الكريم.

الفرع الأول:لغة.

اختلف العلماء في لفظ القرآن من جهة كونه مهموزا، أو غير مهموز.

أما القائلون بأنه مهموز، فاختلفوا على رأيين هما:

الرأي الأول: قالوا إن القرآن مصدر قرأ بمعنى تلا كالغُفْرانِ والكُفْران، والقرآن هو التنزيل العزيز، أي المقروء المكتوب في المصاحف، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وسمي به الكتاب المقروء المنزل على النبيﷺ من باب تسمية المفعول بالمصدر، والواجب أن يكون تأويله من التلاوة والقراءة، وأن يكون مصدرا من قول القائل: قرأت القرآن، كقولك الخسران: من خسرت[1].

الرأي الثاني: القرآن مشتق من القرء بمعنى الجمع، يقال ما قرأت هذه الناقة سلىً قطٌ، أي أنها لم تحمل قط، وقال أكثر الناس لم تجمع جنينا، وقرأت الشيء قرآنا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها، وقيل لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك[2].

---

(1) – ينظر: مادة (ق ر أ) في لسان العرب، ابن منظور، (128/1)، تاج العروس، محمد الزبيدي، (1/ 363)، الإتقان، السيوطي، (340/2)، جامع البيان، الطبري، (90/1).

(2) – ينظر: تهذيباللغة، للأزهري، (271/9)، الصحاح، للجوهري، (65/1)، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (79/5).

وأما القائلون بأنه غير مهموز: فاختلفوا في أصل اشتقاقه فقالوا:

الـرأي الأول: " هـو مشـتق مـن قرنـت الشـيء بالشـيء إذا ضـممت أحـدهما إلى الآخر وسمي به لقران السور والآيات والحروف فيه"[1].

الـرأي الثـاني:"هـو مشـتق مـن القـرائن لأن الآيـات منـه يصـدق بعضـها بعضـا ويشـابه بعضها بعضا وهي قرائن، وعلى القولين هو بلا همز أيضا ونونه أصلية"[2].

وهنـاك رأي آخـر يقـول: بـأن القـرآن اسـم عَلَـم غـير مشـتق خـاص بكـلام الله، وهـو غير مهموز[3].

الفرع الثاني:اصطلاحا.

"القـرآن هـو اللفـظ العـربي المعجـز، المـوحى بـه إلى محمـد صـلّى الله عليـه وسـلّم بواسـطة جبريـل عليـه السـلام، وهـو المنقـول بـالتواتر، المكتـوب في المصـحف، المتعبـد بتلاوتـه، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس"[4].

(1) – الإتقان، السيوطي، (340/2) .

(2) – الإتقان، السيوطي، (340/2) .

(3) – ينظر: الإتقان، السيوطي ، (339/2) .

(4) – الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب المستو، (15/1).

تناولت في المطلبين السابقين تعريف المقاصد والقرآن كل على حده، وسأتناول في هذا المطلب تعريف المقاصد القرآنية جملة واحدة.

المطلب الثالث: تعريف المركب الإضافي المقاصد القرآنية.

لم يتعرض القدامى إلى تعريف المقاصد القرآنية بشكل واضح ومحدد، إلا أنه وردت الإشارة إليها في كتبهم، فمن هؤلاء العز بن عبد السلام[1] حيث قال عنها:" ومعظم مقاصد القرآن؛ الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن المفاسد وأسبابها"[2].

وأما المتأخرون فقد تعرضوا لها واعتنوا بها، فقد ذكرها صاحب المنار[3] في تفسيره فقال: " إن مقاصد القرآن من صلاح أفراد البشر وجماعتهم وأقوامهم...منها ما يكفي بيانه لهم في الكتاب مرة أو مرتين أو مرارا قليلة؛ ومنها مالا تحصل الغاية منه إلا بتكرار كثير"[4].

وتحدث عنها ابن عاشور في عدة مواضع من تفسيره منها:"وعن معرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانهاحتى تستبين لكم غاية المفسرين من التفسير على

(1) – العز بن عبد السلام: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن الشيخ الإمام العلامة وحيد عصره سلطان العلماء عز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي ثم المصري ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة، تفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر والقاضي جمال الدين بن الخرستاني، من تلاميذه ابن دقيق العيد وهو الذي لقبه بسلطان العلماء، توفي بمصر في جمادى الأولى سنة ستين وستمائة، من كتبه الفتاوى الموصلية والقواعد الكبرى، ينظر: طبقات الشافعية، (2/109-110-111).

(2) – قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، العز بن عبد السلام، (ص:11-12).

(3) – محمد رشيد رضا: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين، أحد رجال الإصلاحالإسلامي؛ من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) سنة 1282هـ، أنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد)، من شيوخه محمد عبده، أشهر آثاره مجلة المنار وتفسير القرآن الكريم، توفي سنة 1354هـ بالقاهرة، ينظر: الأعلام، للزركلي، (6/126).

(4) – تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (11/206-207).

اختلاف طرائقهم"[1]،"لأن القصد من القرآن إبلاغ مقاصده الأصلية، وهي صلاح الدارين؛ وذلك يحصل بالأوامر والنواهي"[2].

وعليه فإن مقاصد القرآن هي: "الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالح العباد"[3].

وخلاصة القول أن هذه التعريفات في جملتها تدور على كون المقاصد القرآنية تمثل مراد الله في أحكامه وتشريعاته، مما فيه مصلحة للمكلفين في المعاش والمعاد.

(1) – التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،(38/1).

(2) – المصدرنفسه، (133/1).

(3) – المدخل إلى مقاصد القرآن، عبد الكريم حامدي، (ص:31).

المطلب الرابع: درجات المقاصد القرآنية وأهميتها.

الفرع الأول: درجات المقاصد القرآنية.

ذكر العلماء عدة تقسيمات للمقاصد، منهممحمد رشيد رضا وابن عاشور وغيرهم، وبما أن بحثي في دراسة مقاصد سورة رأيت أن أذكر ما ذكره الريسوني في مستويات المقاصد القرآنية لأن دراستي لمقاصد سورة الحجرات تدخل ضمنها، فالمقاصد على ثلاث مستويات كالآتي:

1- المقاصد التفصيلية للآيات القرآنية:

" هي التي يُعنَى بها عامة المفسرين سواء جاء ذلك مقصودا صريحا منهم، أو فُهم ضِمنا من كلامهم، إذ بيان المعاني والحكم المقصودة من كل آية، وكل جملة وكل لفظة قرآنية؛ هو غرض المفسر من تفسيره"[1].

فقد كان منهج معظم المفسرين هو إظهار ما تقصد إليه كل آية من آيات القرآن الكريم من أحكام وهدايات في تفاسيرهم.

2- مقاصد السور:

" كل سورة لها مقصد واحد يُدار عليه أولها وآخرها ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه، وأبدع نهج"[2]. فقد اعتنى كثير من المفسرين بإبراز المحور والمقصد العام الذي ترمي إليه السورة القرآنية، وهذا ما سأتناوله في هذه الدراسة.

(1) – مقاصد المقاصد، الريسوني، (ص:9).

(2) – مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (149/1).

3- المقاصد العامة للقرآن:

هي" المقاصد العامة الجامعة، التي أنزل القرآن لأجل بيانها للناس، وتوجيههم إليها وحثهم على إقامتها ورعايتها، بحيث نجد العناية بها والقصد إلى تحقيقها في عامة سوره وأجزائه، سواء أكانت في عقائده أم في أحكامه وآدابه، أم في قصصه أم في أي صنف من آياته"[1].

ويتبين من هذا أن الله عزوجل أعطانا كتابا عظيما مشتملا على أحكام وفوائد جليلة، وقام بالنص على مقاصدها في كل آية وسورة منه، ليحصل المقصود منها على أكمل وجه، لأنه بمعرفة المقصود من الآية والسورة يتحقق العمل بها وفقا لما أراده الله عزوجل من إنزال القرآن إلينا.

الفرع الثاني: أهمية معرفة مقاصد القرآن.

للمقاصد القرآنية أهمية عظيمة؛ وحكمة جليلة، فالمفسر للقرآن الكريم بحاجة إلى المقاصد، لأن النظر إلى الجزئيات بحاجة إلى الكليات، ولأن استنباط معاني الآيات والهدايات بحاجة إلى من يستحضر المقاصد التي ترمي إليها الآيات والسور، وفيما يلي بيان أهمية فهم المقاصد في تفسير القرآن:

1- أن علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال هذا القرآن كله؛ وهو التدبر والهداية كما قال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[ص:29]، فالله تعالى أمرنا بالتدبر لمعرفة مراده من كلامه والعمل به، ومن هنا تتبين أهمية علم المقاصد، إذ إنه يركز على تحقيق مراد الله تعالى في كلامه، بالنظر إلى مجمل السور وبيان مجمع معانيها[2]. قال

(1) – مقاصد المقاصد، الريسوني، (ص:10).

(2) – ينظر: علم مقاصد السور، محمد بن عبد الله الربيعة، (ص:11).

الشاطبي[1]: "فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن؛ فلم يحصل منهم تدبر"[2]، "فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، وإنما التفقه في المعبر عنه والمراد به"[3].

2- "التبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير"[4]، فمعرفة مقاصد القرآن تعين على فهم كتاب الله فهما صحيحا، يوصل إلى معرفة دلالاته وهداياته.

3- أن من مقاصد القرآن كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين، حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين، وتعويد حملة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب، والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة[5].

4- مقاصد القرآن هي الميزان والمعيار الذي يجب أن نزن به أعمالنا الفردية والجماعية، وحياتنا الخاصة والعامة؛ فكل عمل قلبي أو أخلاقي أو حضاري لا يهتدي بمقاصد القرآن فهو حائد عن هدى القرآن[6]، وهذا ما أكده الإمام الشاطبي بقوله: "المقاصد أرواح الأعمال"[7].

فإن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور والآيات يجعل كلام الله مؤتلفا منتظما على نحو كمال نظمه ومعناه، وتكون السورة معه كالبناء المرصوص والعقد المتناسق.

---

(1) – الشاطبي: ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو اسحاق، الامام الجليل العلامة المجتهد، الحافظ الأصولي، من شيوخه بن الفخار البيري والشريف التلمساني، من تلاميذه أبو العباس القباب وأبو عبد الله الحفار، من مؤلفاته الموافقات والإفادات والإنشادات، توفي سنة 790هـ، ينظر:كفاية المحتاج، أحمد بابا التنبكتي، (153/1-154-156)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، أحمد التنبكتي، (49/1)، شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، (231/1).

(2) – الموافقات، الشاطبي،(209/4).

(3) – المرجع نفسه، (409/3).

(4) – مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي،(155/1).

(5) – ينظر: التحريروالتنوير، ابن عاشور،(158/3).

(6) – ينظر: مقاصد المقاصد، الريسوني، (ص:27).

(7)- الموافقات، الشاطبي، (44/3).

المبحث الثاني:

التعريف العام بسورة الحجرات.

ويندرج تحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها وترتيبها.

المطلب الثاني: سبب نزول السورة.

المطلب الثالث: زمان ومكان نزول السورة.

المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة.

المطلب الخامس: أغراض السورة.

أتناول -إنشاء الله- في هذا المبحث التعريف بسورة الحجرات، بالتطرق إلى اسم السورة وعدد آياتها، وسبب نزولها ومكيتها ومدنيتها، ومحورها الذي تدور عليه وأغراضها.

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها وترتيبها.

الفرع الأول: اسمها.

1- الأسماء التوقيفية:

لها اسم توقيفي واحد هو سورة الحجرات، وهذا ما ذكره المفسرون في تفاسيرهم، منهم الإمام ابن عاشور حيث قال:" سميت في جميع المصاحف وكتب السنة والتفسير سورة الحجرات"[1].

وسميت سورة الحجرات لأن اللّه تعالى ذكر فيها تأديب أجلاف العرب الذين ينادون رسول اللّه ﷺمن وراء الحجرات- وهي (بيوت) نسائه المؤمنات الطاهرات رضي اللّه عنهن وكانت تسع حجرات، لكل واحدة منهن حجرة- وذلك منعا من إيذاء النبي ﷺ وتوقيرا لحرمة بيوت أزواجه[2].

2- الأسماء الاجتهادية:

لها اسم اجتهادي هو سورة (الأخلاق والآداب)، لأنها أرشدت إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال[3]، وسماها بعض المفسرين (سورة الأخلاق)، لأنها تضمنت حقائق التربية الخالدة وأسس المدنية الفاضلة، ولم يثبت دليل على هذه التسمية[4].

(1)- التحرير والتنوير، ابن عاشور، (213/26).

(2)- ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، (26 /211).

(3)- ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، (221/3).

(4)- ينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة محمد ناصر الدوسري، (ص:394).

الفرع الثاني: عدد آياتها وترتيبها.

عدد آياتها ثماني عشرة آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف[1]، "وهي السورة الثامنة بعد المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة المجادلة وقبل سورة التحريم"[2].

(1)- ينظر: البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني، (230/1)، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، ابن الجوزي،(ص:308).

(2)-التحرير والتنوير، ابن عاشور، (213/26).

تحدثت في المطلب السابق عن اسم السورة وعدد آياتها وترتيبها، وسأتناول في هذا المطلب أسباب نزول هذه السورة الجليلة.

المطلب الثاني: سبب نزولها.

وردت عدة أسباب في نزول آيات هذه السورة، وهناك بعض آياتها ورد فيها أكثر من سبب، وهي كالأتي:

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[الحجرات:1].

ورد في سبب نزولها قولان هما:

1-نزلت في أبي بكر[1] وعمر[2] رضي الله عنهما عند قدوم وفد بني تميم،" أخبر عبد الله بن الزبير[3] أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺفقال أبو بكر: أَمِر القعقاع بن معبد[4]، وقال عمر: بل أَمِر الأقرع بن حابس[5]، فقال أبو بكر: ما أردت إلى، أو إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا[6] حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [الحجرات: 1] حتى انقضت الآية"[7].[8]

(1)- أبو بكر الصديق: عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة القرشي التميمي، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر، صحب النبي ﷺ قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به، ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها، إلى أن مات رسول الله ﷺ، واستقر خليفة في الأرض بعده ولقبه المسلمون خليفة رسول الله، كانت سنة ثلاث عشر منالهجرة. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، (4/169-174).

(2)- عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي أبو حفص أمير المؤمنين، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة وكان إليه السفارة في الجاهلية، ثم أسلم فكان إسلامه فتحا على المسلمين وفرجا لهم من الضيق، فسماه رسول ﷺ يومئذ الفاروق، قتل عُمَرﷺ سنة ثلاث وعشرين من ذي الحجة.ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، (4/588-590). الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، (3/1152).

(3)-عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، ولدفي السنة الأولى من الهجرة، وهو أول مولود في الإسلام من المهاجرين بالمدينة، حفظ عن النبي ﷺ وهو صغير وحدث عنه وعن أبيه وعن أبي بكر وعمر وعثمان وخالته عائشة وغيرهم، وهو أحد العبادلة، شهد اليرموك مع أبيه ثم شهد الجمل مع عائشة رضي الله عنها، بويع بالخلافة سنه أربع وستين وقتل سنة ثلاث وسبعين من الهجرة. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، (3/905).الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، (3/90-94).

(4)- القعقاع بن معبد بن زرارة بن دارم التميمي،كان من سادات تميم، وفد على النبيﷺفي وفد تميم،كان يقال للقعقاع تيار الفرات لسخائه. ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير، (4/109). الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، (5/452).

(5)-الأقرع بن حابس بن سفيان التميمي المجاشعي الدرامي، وفد على النبي ﷺوشهد فتح مكة وحنينا والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه، وكان شريفا في الجاهلية والإسلام، قتل باليرموك في عشرة من بنيه. ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، (1/101-102).

(6)- فتماريا: تجادلا، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا الشافعي (7/448).

(7)- أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب تفسير القرآن، باب:{إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} [الحجرات: 4]، رقم: 4847، (6/137).

(8)- ينظر: أسباب نزول القرآن، الواحدي، (1/401). الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوادعي، (1/197).

2- "عن مسروق بن الأجدع[1] أنه دخل على عائشة -رضي الله عنها-[2] في اليوم الذي يُشك فيه من رمضان؛ فقالت: يا جارية! خَوِّصِي له سويقاً[3]؛ فقال: إني صائم؛ فقالت: تقدمت الشهر؟ فقلت: لا، ولكني صمتُ شعبان كله فوافق ذلك هذا اليوم، فقالت: إن ناساً كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبيﷺ، فأنزل الله عزّ وجل﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[الحجرات:1]"[4].

ذكر جمهور المفسرين حديث قصة الشيخين في سبب نزول الآية الكريمة، لصحة سنده وصراحة لفظه، وموافقته لسياق القرآن واحتجاج المفسرين به، فهو سبب نزول الآية واللَّه أعلم[5].

الموضع الثاني:

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[الحجرات:2].

ورد في سبب نزولها قولان هما:

(1)-مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعي، قدم من اليمن بعد النبي ﷺ، روى عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وعائشة،كان أفرس فرسان اليمن، وكان شديد طلب العلم، توفى سنة ثلاث وستين. ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، (291/6-292).

(2)-عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان رضي الله عنهم، ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، روت عائشة عن النبي ﷺ الكثير الطيب، وكانت أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا في العامة، وروى عنها من الصحابة عمر وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو موسى وغيرهم، ماتت سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان ودفنت بالبقيع.ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، (8/16-20).

(3)- سويق: هو حب بين البر والشعير لا قشر له، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض السبتي، (217/2).

(4)-الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر، (254/3)،إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(5)- ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد المزيني، (913/2).

1- "قال ابن أبي مُليكة[1]: كاد الخيران أن يهلكا: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ، حين قدم عليه ركب من بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس، وأشار الآخر برجل آخر، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، وارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله تعالى في ذلك الآية، وقال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية، حتى يستفهمه"[2].

2- "نزلت في ثابت بن قيس بن شماس[3]، كان في أذنه وقر[4]، وكان جهوري الصوت، وكان إذا كلم إنسانا جهر بصوته، فربما كان يكلم رسول الله ﷺفيتأذى بصوته، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فعن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[الحجرات:2]، قال ثابت بن قيس: أنا الذي كنت أرفع صوتي فوق صوت النبي ﷺ، وأنا من أهل النار. فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: هو من أهل الجنة"[5].

ومن هذين الحديثين يظهر أن سبب نزول الآية قصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لأنه اتضح أن ثابت بن قيس ليس هو المراد بالآية، لأن النبي ﷺ استدعاه وأزال عنه هذا الظن وبشره بالجنة، كما أن جهورية صوته خلقة لا عمدا.

---

(1)- هو الإمام الحجة الحافظ أبو بكر عبد الله بن عبيد الله، بن أبي مليكة، واسمه زهير القرشي التميمي المكي القاضي، ولد في خلافة علي رضي الله عنه أو قبلها، حدث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وعن ابن عباس رضي الله عنه، وغيرهم، توفي سنة 117هـ . ينظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، (88/5-90).

(2)- أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب تفسير القرآن، باب: {لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: 2]،رقم: 4845، (137/6).

(3)- ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار، أول مشاهده أحد وشهد ما بعدها وبشره النبي ﷺ بالجنة، قتل يوم اليمامة شهيدًا رحمه الله في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه. ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، (395/1).الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، (200/1).

(4)- وقر: صمم، منحة الباري بشرح صحيح البخاري،زكريا الشافعي، (642/7).

(5)- أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان، باب: مخافة المؤمن أن يحبط عمله، رقم: 188-119، (110/1)، أسباب نزول القرآن، الواحدي، (402/1).

الموضع الثالث:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾[الحجرات:3].

سبب نزول الآية:

عن أبي بكر رضي الله عنه قال:" لما نزلت على النبي ﷺ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾قَالَ أبو بكرٍ رضي الله عنه: فَآلَيْتُ على نفسي أن لا أكلِّم رسول اللَّه ﷺإِلَّا كأخي السِّرَارِ[1]"[2]، وله شاهد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه[3] قال:" لما نزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك إلا كأخي السِّرار حتى ألقى الله عزوجل"[4].

الآية نزلت تابعة لقصة الشيخين رضي الله عنهما، لامتثالهما أمر ربهما بغض الصوت عند رسول اللهﷺ وعدم الجهر له بالقول تعظيما واحتراما له، وتأديبا للمؤمنين من بعدهما، للفوز بالمغفرة والأجر العظيم.

(1)- السِّرار: هي النجوى، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض السبتي، (212/2) .

(2)- أسباب نزول القرآن، مرجع سابق، (403/1).أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما، (3/ 83)هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(3)- عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة،كان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ وألزمهم له صحبة، كان إسلامه بين الحديبية وخيبر قدم المدينة مهاجر وسكن الصفة، مات سنة سبع وخمسين. ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، (7/425-433-434-444).

(4)- أخرجه الحاكم في المستدرك،كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات، رقم: 3777، (543/2)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

الموضع الرابع:

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[الحجرات:4].

1- عن الأقرع بن حابس:" أنه أتى النبيﷺ، فقال: يا محمد! اخرج إلينا، فلم يجبه؛ فقال: يا محمد! إن حمدي زين، وإن ذمي شين؛ فقال:ذاك الله؛ فأنزل الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[الحجرات:4]"[1].

الموضع الخامس:

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[الحجرات:6].

1- نزلت في الوليد بن عُقبة[2] رضي الله عنه، حيث:"بعثه رسول الله ﷺإلى بني المصطلق مُصَدِقًا[3] وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم به تلقوه تعظيما لله تعالى ولرسوله، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺوقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺوهم أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺوقالوا: سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله

(1)-الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر، (263/3). الأحاديث المختارة، أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين المقدسي، الأقرع بن حابس، رقم: 1500، (321/4)، قال: إسناده صحيح.

(2)-الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن عبد مناف الأموي أخو عثمان بن عفان لأمه، أسلم يوم الفتح وولاه عثمان رضي الله عنه الكوفة ثم عزله، وأقام بالرقة إلى أن مات. ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، (614/6-615-617). أسد الغابة، لابن الأثير، (676/4).

(3)- مصدقا: هو الذي يأخذ الصدقة، مشارق الأنوار على صحاح الآثار،عياض السبتي، (41/2).

فأنزل الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ ﴾[الحجرات:6] يعني الوليد بن عقبة"[1].

"إن الحديث المذكور وإن كان في إسناده مقال، إلا أن شهرته فاقت إسناده واحتج به المفسرون أجمع ولفظه يوافق سياق القرآن، فلعل الحديث لهذه الأسباب يكون سبب نزولها والله أعلم"[2].

والأظهر أن الآية نزلت عامة لبيان التثبت، وترك الاعتماد على قول الفاسق، ويدل على ضعف قول من يقول: إنها نزلت لكذا، (أي في الوليد بن عقبة)، أن الله تعالى لم يقل إني أنزلتها لكذا، والنبي ﷺ لم ينقل عنه أنه بين أن الآية وردت لبيان ذلك فحسب، وغاية ما في الباب أنها نزلت في ذلك الوقت، وهو مثل التاريخ لنزول الآية، ونحن نصدق ذلك ويتأكد ما ذكرنا أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد سيء بعيد، لأنه توهم وظن فأخطأ والمخطئ لا يسمى فاسقا[3].

الموضع السادس:

قال تعالى:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾ [الحجرات:9].

1- عن أَنَسٍ رضي الله عنه[4] قال:"قلت يا نبي الله لو أتيت عبد الله بن أُبَيٍّ[5]،فانطلق إليه النبي ﷺ فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون، وهي أرض سَبِخَةٌ[6]، فلما أتاه النبي ﷺ

(1)-أسباب نزول القرآن، الواحدي، (407/1)، أخرج مثله الألباني في الصحيحة، رقم:3088، (230/7)، قال: له شواهد تدل على صحته.

(2)- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد المزيني، (919/2).

(3)- ينظر: التفسير الكبير، الرازي، (98/28).

(4)-أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺواحد المكثرين من الرواية عنه، خدمه عشر سنين، غزا مع النبي ﷺثماني غزوات،مات سنة ثلاث وتسعين. ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، (126/1-167-128).

(5)-عبد الله بن أُبيّ بن سلول رأس المنافقين، ونزل في ذمه آيات كثيرة مشهورة، توفي في زمن رسول الله ﷺ، وصلى عليه وكفنه في قميصه قبل النهى عن الصلاة على المنافقين، وإنما صلى عليه لكرامة ابنه وإحسانًا وكرمًا وحلمًا. ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا النووي،(1 /260).

(6)-سبخة:الأرض المالحة، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض السبتي، (204/2).

قَالَ:إليك عني، فو اللَّه لقد آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ! فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله ﷺ، أطيب ريحا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه أنزلت فيهم:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ ﴾"[1].

2- عن أسامة بن زيد[2] رضي الله عنه:" أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة[3] فدكية[4]، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة[5] في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أُبيْ ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أُبيْ، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة[6]، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة[7]، خمر عبد الله بن أُبيْ أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله،وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أُبيْ ابن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقا، فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك[8]، فمن جاءك فاقصص عليه،

(1)- أسباب نزول القرآن، الواحدي، (408/1-409)، ينظر: الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوادعي (198/1)، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، رقم: 2691، (183/3).

(2)-أسامة بن زيد بن حارثة الحب بن الحب، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ مات سنة أربع وخمسين وقد روى عنه من الصحابة أبو هريرة وابن عباس ومن كبار التابعين أبو عثمان النهدي وأبو وائل وآخرون.ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، (49/1).

(3)- قطيفة: كساء ذو خمل، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض السبتي، (184/2).

(4)-فدكية: نسبة إلى فدك بلد على مرحلتين على المدينة ، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا الشافعي، (590/7).

(5)-سعد بن عبادة بن دليم بن الخزرج الأنصاري سيد الخزرج، شهد العقبة وكان أحد النقباء واختلف في شهوده بدرا، كان مشهورا بالجود هو وأبوه وجده وولده،مات بحوران سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة، روى عنه بنوه قيس وسعيد وإسحاق وحفيده شرحبيل بن سعيد، وروى عنه من الصحابة أيضا بن عباس وأبو أمامة بن سهل. ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، (65/3-66).

(6)-عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي الشاعر المشهور، شهد بدرا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة، روى عنه بن عباس وأسامة بن زيد وأنس بنمالك، كان يكتب للنبي ﷺ.ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر ، (82/4-83).

(7)- عجاجة الدابة:غبارها، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا الشافعي، (292/9).

(8)- الرحل: جانب كور البعير وهو سَرْجُه، النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزري، (209/2).

فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون[1] فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا"[2].

الحديث المذكور (حديث أسامة) ليس سبب نزول الآية لمخالفته سياق القرآن من عدة وجوه، ولأن لفظ أسامة قد خلا من ذكر النزول، مع أنه كان شاهداً للقصة لأنه كان رديف رسول اللّهﷺ على الحمار، ولو نزل شيء لكان أعلم الناس به أسامة، والراجح في سبب نزول هذه الآية الكريمة حديث أنس ﷺ لتصريحه بالنزول،ولذكر جمهور المفسرين هذا الحديث عند تفسير الآية[3].

الموضع السابع:

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[الحجرات:11].

1- عن أبي جبيرة بن الضحاك رضي الله عنه[4]قال:" فينا نزلت الآية؛ قدم رسول اللهﷺالمدينة وما منا رجل إلا له اسمان أو ثلاثة، كان إذا دعا الرجل بالاسم؛ قلنا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا؛ فأنزلت:﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[5].

---

(1)- يتثاورون: يتناهضون للقتال، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض السبتي، (135/1).

(2)- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية،خالد المزيني، (921/2)، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله، وصبره على أذى المنافقين، رقم: 1798، (1422/3).

(3)- ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، خالد المزيني، (920/2- 923-924).

(4)- أبو جبيرة بن الضحاك بن خليفة الأنصاري الأشهلي، ولد بعد الهجرة قال بعضهم: لَهُ صحبة: وقال بعضهم: لا صحبة لَهُ، روى عَنْهُ قيس بن أبي حازم، والشعبي، وابنه مُحَمَّد بن جبيرة. ينظر أسد الغابة، لابن حجر، (47/5).

(5)- الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى بن نصر، (284/3- 285)، مرسل صحيح الإسناد.

الموضع الثامن:

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[الحجرات:13].

1- عن ابن أبي مُلَيْكَة قال:" لما كان يوم الفتح؛ رقى بلال[1] فأذن على الكعبة، فقال بعض الناس: هذا العبد الأسود يؤذن على ظهرالكعبة، وقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره؛ فنزلت:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾"[2].

الموضع التاسع:

قال تعالى:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾[الحجرات:17].

1- عن ابن عباس رضي الله عنهما[3] قال:" قدم وفد بني أسد على رسول الله ﷺ فتكلموا، فقالوا: قاتلتك مضر ولسنا بأقلِهم عددا ولا أكلَّهم شوكة، وصلنا رحمك، فقال لأبي بكر وعمر رضي الله

(1)-بلال بن رباح الحبشي المؤذن، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد فأعتقه، فلزم النبي ﷺ وأذن له وشهد معه جميع المشاهد، وآخى النبي ﷺبينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ثم خرج بلال بعد النبي ﷺمجاهدا إلى أن مات بالشامسنة عشرين. ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق، (326/1).

(2)-الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر، (282/3).أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات، رقم:3781، (545/2)، قال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(3)- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، وكان يسمى البحر لسعة علمه، ويسمى حبر الأمة، ولد والنبي ﷺوأهل بيته بالشعب من مكة، فأتي به النبي ﷺ فحنكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، شهد مع علي صفين، وكان أحد الأمراء فيها، روى عن النبي ﷺ، وعن عمر، وعلي، ومعاذ بن جبل، روى عنه عبد الله بن عمر، وأنس من مالك، وأبو الطفيل، وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف. ينظر: أسد الغابة، لابن الأثير، (186/3-188-190).

عنهما تكلموا هكذا، قالوا: لا، قال: (إن فقه هؤلاء قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم)، قال عطاء في حديثه فأنزل الله عز وجل:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾"[1].

الحديث الذي معنا سبب نزولها، لصحة سنده وتصريحه بالنزول؛ وموافقته لسياق القرآن واحتجاج المفسرين به والله أعلم[2].

(1)-أخرجه النسائي في السنن الكبرى، باب : قوله تعالى: يمنون عليك أن أسلموا، رقم: 11455، (269/10)، لم أعثر على درجته، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، خالد المزيني، (928/2).

(2)-ينظر: المحرر في أسباب النزول، خالد المزيني، (930/2).

المطلب الثالث: زمان ومكان نزول السورة.

نزلت في قصة نداء بني تميم رسول الله ﷺمن وراء حجراته، فعرفت بهذه الإضافة، وكان نزول هذه السورة سنة تسع، وهي مدنية باتفاق أهل التأويل، أي مما نزل بعد الهجرة، وحكى السيوطي[1] في الإتقان قولا شاذا أنها مكية ولا يعرف قائل هذا القول، ولم يعدها في الإتقان في عداد السور المستثنى بعض آياتها[2]، لكنه ذكر تحت النوع الأول في ضوابط في المكي والمدني أن آية﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجرات:13] نزلت بمكة وحكمها مدني، حيث قال:" مثال ما نزل بمكة وحكمه مدني:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾الآية، نزلت بمكة يوم الفتح وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة"[3]، وذهب إلي هذا ابن عقلية المكي[4] حيث قال: حكمها مدنية وإن نزلت بمكة لكونها نزلت بعد الهجرة، اعتبارا بالغالب أن ما نزل بعد الهجرة فهو مدني، وما كان قبلها فهو مكي[5]، فهي"مدنية إجماعا، وشذ من قال مكية"[6].

(1)-السيوطي: هو جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، ولد سنة 849هـ، من شيوخه الكافيجي وقرأ على العز الكناني، من تلاميذه الداودي، من مؤلفاته:لباب النقول في أسباب النزول، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، توفي سنة 911هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، (ج:3، ص:301). شذرات الذهب، عبد الحي العكري الحنبلي، (52/8- 53). حسن المحاضرة، السيوطي، (335/1-337-339).

(2)- ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (213/26).

(3)- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (68/1).

(4)- ابن عقيلة:محمد ابن أحمد بن سعيد المشتهر والده بعقيلة الحنفي المكي الشيخ الإمام العلامة الأوحد النحرير أبو عبد الله جمال الدين ولد بمكة، من شيوخه العلامة الجمال عبد الله بن سالم البصري، من تلاميذه بهاء الدين النابلسي، وله مؤلفات لطيفة منها المواهب الجزيلة في مرويات الفقير محمد بن أحمد عقيلة، توفي بمكة سنة خمسين ومائة وألف.ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل الحسيني، (30/4-31)، (4/2).

(5)- ينظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي، (245/1).

(6)- مصاعد النظر،البقاعي، (5/3).

المطلب الرابع: المحور الأساسي لسورة الحجرات:

تتحدث السورة عن موضوع رئيس، تدور حوله كل آياتها ومقاطعها وهو: ترسيخ الآداب والأخلاق الفاضلة، ونبذ الغلظة والجفاء الذي كان عليه العرب في الخطاب مع النبيﷺ ومع بعضهم البعض، حيث"كان في العرب جفاء وسوء أدب في خطاب النبي ﷺ وتلقيب الناس، فالسورة في الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب"[1].

فمعظم مقصود السورة محافظة أمر الحق تعالى، ومراعاة حرمة الأكابر، والابتعاد عن التهور، والتثبت من الأخبار، وفض الخلاف والإصلاح بين المؤمنين، والاحتراز عن السخرية بالخلق، والحذر عن التجسس والغيبة، وترك الفخر بالأحساب والأنساب، وتحاشي المنة على الله تعالى بالطاعة، وإحالة علم الغيب إلى الله تعالى[2]، "ففي السورة فصول تأديبية وتعليمية وأخلاقية واجتماعية وسياسية وسلوكية فيما يجب على المسلمين تجاه النبي ﷺ وتجاه بعضهم، وفيها مشهد من مشاهد الأعراب في عهد النبي ﷺوتبجحهم بالإسلام، وميزان لصدق إيمان المؤمنين وإفساح المجال للأعراب لدخولهم حظيرة الإسلام والدولة الإسلامية"[3]، فإنمحور السورة يدورحول بناء المجتمع، وذلك من خلال الأسس الربانية التي تضمنتها هذه السور الكريمة، التي من شأنها أن تقيم مجتمعا متحابا متآخيا[4].

إذن فمحور السورة يتحدث عن الأخلاق التي أراد الله أن يتخلق بها المسلمون، حيثما كانوا وفي أي زمان كانوا، لأنهم بهذه الأخلاق العظيمة يسودون العالم ويقودون الأمموبدونها تذهب هيبتهم وتزول كرامتهم وتنهار دولتهم.

(1)- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (300/16).

(2)- ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، (435/1).

(3)-التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، (496/8).

(4)- ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من العلماء، (334/7).

المطلب الخامس: أغراض السورة.

تتعلق أغراض السورة بحوادث جدت متقاربة كانت سببا لنزول ما فيها من أحكام وآداب، وأولها تعليم المسلمين بعض ما يجب عليهم من الأدب مع النبي ﷺ في معاملته وخطابه وندائه، والذي دعا إلى هذه الآداب والأخلاق ما ارتكبه وفد بني تميم من جفاء لما نادوا الرسول ﷺمن بيوته، وكذا وجوب صدق المسلمين فيما يخبرون به؛ والتثبت فينقل الأخبار مطلقا؛ وأن ذلك من خلق المؤمنين، ومجانبة أخلاق الكافرين والفاسقين، وتطرق إلى ما يحدث من التقاتل بين المسلمين؛ والإصلاح بينهم لأنهم إخوة، والتزام ما أمر الله به من حسن المعاملة بين المسلمين في السر والعلانية، وانتهى إلى التحذير من بقايا خلق الكفر في بعض جفاة الأعراب تقويما لنفوسهم[1].

"ففي هذه السورة إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله تعالى أو مع الرسول ﷺ أو مع غيرهم من أبناء الجنس، وهم على صنفين، لأنهم إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة أو خارجا عنها وهو الفاسق، والداخل في طائفتهم السالك لطريقتهم إما أن يكون حاضرا عندهم أو غائبا عنهم فهذه خمسة أقسام أحدها يتعلق بجانب الله وثانيها بجانب الرسول وثالثها بجانب الفساق ورابعها بالمؤمن الحاضر وخامسها بالمؤمن الغائب، فذَكرهم الله تعالى في هذه السورة خمس مرات يا أيها الذين آمنوا وأرشدهم في كل مرة إلى مكرمة مع قسم من الأقسام الخمسة"[2].

(1)- ينظر:التحرير والتنوير، ابن عاشور، (213/26-214).

(2)- التفسير الكبير، الرازي، (97/28).

المبحث الثالث:

المناسبـــات فـــي الســـورة.

ويشتمل على أربعة مطالب كالآتي:

المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مناسبة سورة الحجرات لما قبلها.

المطلب الثالث: مناسبة سورة الحجرات لما بعدها.

المطلب الرابع: مناسبة مطلع السورة لخاتمتها.

أتناول-بإذن الله- في هذا المبحث التعريف بالمناسبات، ثم ذكر مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها، ثم مناسبة مطلع السورة لخاتمتها، وذلك في أربعة مطالب كما يأتي:

المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحا.

الفرع أول: لغة.

نسب النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النسب سمي لاتصاله وللاتصال به[1].

وقوم كرام المناصب والمناسب، وهو ينسب إليهم وينتسب، وبين الشيئين مناسبة وتناسب، وبينهما نسبة قريبة[2].

وفُلان يُناسب فُلَانًا فهونَسِيبُه أي قريبه، وبينهما (مُنَاسَبةٌ) أَيْ مُشَاكلةٌ[3].

والنسيب هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة[4].

إذن فالمناسبة في اللغة تدور حول معنى المشاكلة والمقاربة، والاتصال بين الشيئين.

الفرع الثاني: اصطلاحا.

جاءت عدة تعريفات للمناسبة منها:

المراد بالمناسبة بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أوبين السورة والسورة التي قبلها والتي بعدها[5]

(1)-ينظر: معجم مقاييس اللغة،لابن فارس، (423/5).

(2)-ينظر: أساس البلاغة، للزمخشري، (265/2).

(3)-ينظر: مختار الصحاح، زين الدين الرازي، (309/1).

(4)-ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (35/1).

(5)-ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (96/1).

مرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أوخاص، عقلي أو حسي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه[1].

"المناسبة هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[2].

والتعريف المختار هو: علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه وهو سر البلاغة، لأنه يؤدي إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال[3].

المطلب الثاني: مناسبة سورة الحجرات لما قبلها.

لا يخفى تآخي هاتين السورتين الفتح والحجرات لكونهما مدنيتين، ومشتملتين على أحكام، فتلك فيها قتال الكفار، وهذه فيها قتال البغاة، وتلك خُتمت بالذين آمنوا، وهذه افتتحت بالذين آمنوا، وتلك تضمنت تشريفًا له ﷺخصوصًا مطلعها وهذه أيضًا في مطلعها أنواع من التشريف له ﷺ[4]، فقدذكرت الحجرات بعد الفتح، لأن الأمة إذا جاهدت ثم فتح الله عليها والنبي ﷺبينها، وجب أن توضع القواعد التي تكون بين النبي ﷺوأصحابه، وكيف يعاملونه؟ وكيف يعامل بعضهم بعضا؟ فطلب إليهم ألا يقطعوا أمرا دون أن يحكم الله ورسوله به ولا أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ﷺ، ولا يجهروا له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض، لما في ذلك من الاستخفاف الذي قد يؤدى إلى الكفر المحبط للأعمال[5].

(1)-ينظر: الإتقان، السيوطي، (371/3).

(2)-مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفي مسلم،(58/1).

(3)- ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (6/1).

(4)-ينظر: أسرار ترتيب القرآن، السيوطي، (132/1).

(5)-تفسير المراغي، مصطفى المراغي، (120/26).

المطلب الثالث: مناسبة سورة الحجرات لما بعدها.

انطوت سورة الحجرات على جملة منالآداب والأخلاق، التي خص الله بها عباده المؤمنين، وختمت ببيان إحاطة علم الله عزوجل:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[الحجرات:18]،فجاءفي افتتاحية سورة ق قوله تعالى:﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴾[ق:3-4]. والمناسبة بينهما واضحة فالذي يعلم غيب السموات والأرض، يعلم ما غاب من أجسادهم، والعلم كما لا يخفى أحد براهين البعث التي تضمنتها سورة ق،كما أنه قادر على إعادة ذلك خلقا جديدا، وذلك من أجل الجزاء، أي الحكمة التي تقتضي مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته[1].

(1)- ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،نخبة من علماء التفسير، (394/7).

المطلب الرابع: مناسبة مطلع السورة لخاتمتها.

افتتحت السورة بالنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ، مبينة أن الله عزوجل سميع عليم، كما نهت عن رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ ، والجهر له بالقول كما يجهر بعضنا لبعض، ثم بينت جزاء من يمتثل أمر الله عزوجل فيغض صوته عند رسول الله ﷺ، بأنهم قد امتحن الله تعالى قلوبهم للتقوى، ولا شك أن علم ما في القلوب غيبي، فختمت السورة ببيان علم الله عزوجل، وأنه يعلم غيب السموات والأرض، وأن كل ما نعمله فإن الله يبصره، فوجب على العاقل الامتثال لأوامر الله سبحانه[1]، وبالتالي فأول ما يبرز للنظر عند مطالعة السورة، هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة، لمجتمع رفيع كريم نظيف سليم، ثم تكشف السورة في ختامها عن ضخامة الهبة الإلهية للبشر، هبة الإيمان التي يمن بها على من يشاء من عباده[2].

(1)- ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد الغرناطي، (1/313-314).

(2)- في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/3335-3337).

الفصل الثاني:

مقاصد سورة الحجـــرات.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: طاعة الله ورسوله، والتأدب في الخطاب مع النبيﷺ.

المبحث الثاني: آداب عامة.

المبحث الثالث: أصول الإيمان.

المبحث الأول:

طاعة الله ورسوله، والتأدب في الخطاب مع النبيﷺ.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: طاعة الله ورسوله ﷺ.

المطلب الثاني: التأدب في الخطاب مع النبي ﷺ.

نتحدث – إنشاء لله– في هذا المبحث عن طاعة الله ورسوله ﷺ وعدم التقدم عليهما والتأدب في الخطاب مع الرسول ﷺ وعدم رفع الصوت فوق صوته مخافة حبوط الأعمال وخسرانها، وذلك في مطلبين حسب ما اشتملت عليه آيات هذا المبحث.

المطلب الأول: طاعة الله ورسوله ﷺ.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[الحجرات: 1].

الفرع الأول: المعنى العام للآية.

تتحدث الآية عن توجيه المسلمين إلى التأدب مع الله ﷻ ورسولهﷺ، فلا يقدموا قولا ولا فعلا بين يدي الله وقول رسوله وفعله؛ فيما سبيله أن يأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا ومن قدم قوله أو فعله على الرسولﷺ فقد قدمه على الله تعالى، لأن الرسول ﷺ إنما يأمر عن أمر الله عز وجل[1]، وجعلت هذه الآية في صدر السورة مقدَّمة على توبيخ وفد بني تميم حين نادوا النبي ﷺ من وراء الحجرات لأن ما صدر من بني تميم هو من قبيل رفع الصوت عند النبي ﷺ[2].

والمعني لا تتقدموا أمام الله ورسولهﷺ فتقولوا في شيء بغير علم ولا إذن من الله، وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله، ويدخل في ذلك دخولا أوليا تشريع ما لم يأذن به الله وتحريم ما لم يحرمه، وتحليل ما لم يحلله، لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا حلال إلا ما أحله الله، ولا دين إلا ما شرعه الله[3].

(1) – ينظر: الجامع لأحكام القرآن،القرطبي، (300/16).

(2) – ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (217/26).

(3) – ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (650/7-651).

الفرع الثاني: مقصود الآية:

1- من مقاصد الآية الأدب مع الله تعالى، ومع رسول الله ﷺ، وتعظيمه وإكرامه، فأمر الله تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالله وبرسوله، من امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه فإن هذا حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله ﷺ، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه وبفواته تفوته السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي، فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ وجب إتباعها وتقديمها على غيرها كائنا ما كان[1].

فقد اوجب الله الأدب لرسوله ﷺ على كل مؤمن ومؤمنة، وذلك بصريح كلامه ﷻ إذ قال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[الحجرات: 1].

2- من مقاصد الآية الأمر بتقوى الله عمومًا، أي أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله[2].

3- الآية تقرر أصلا من أصول الدين المهمة، وهو أن الحكم لله وحده لا معقب لحكمه وهو أحكم الحاكمين، وإذا كنا نهينا عن أن نتقدم الله ورسوله في حكم من الأحكام، فيا ويل المسلمين ويا هلاكهم حين يتركون اليوم أمر الله ورسوله ﷺ، ويتحاكمون إلى طواغيت الغرب وقوانينه[3].

الفرع الثالث: علاقة الآية بمحور السورة.

نصت الآية صراحةً على أخلاقيات يجب أن يتخلق بها كل المؤمنين، سواء عاصروا رسول اللهﷺأم لم يعاصروه، فالأمر بهذه الأخلاق ممتد منذ نزول القرآن على قلب رسول اللهﷺإلى يومنا هذا، ومستمر إلى يوم القيامة، فيجب توحيد مصدر التلقي عنهما وعدم تقديم أي قانون وضعي عنهما، فالكتاب والسنة أكمل الله بهما للرسول ﷺ وأمته الدين، وبهما حصل العلم بأصول الدين وفروعه، وبهما حصلت جميع العلوم النافعة، وما يترتب عليها من الخيرات والصلاح للبشر، وهذا الذي بدأت به السورة هو المفتاح لقبول الأخلاق

(1) – ينظر: تسير الكريم الرحمن، السعدي، (799/1).

(2) – ينظر: مرجع نفسه، (799/1).

(3) – ينظر: التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، (499/3).

والآداب الآتي ذكرها في السورة، فعند قبول أوامر الله ﷻ ورسوله ﷺ والالتزام بها يحصل تطبيق الأخلاق المذكورة في السورة.

الفرع الخامس: ربط الآية بالواقع.

ما أحوجنا في الوقت الحاضر إلى الرجوع إلى حكم الله ورسوله ﷺ، والتخلق بأخلاق النبي ﷺ وآدابه في حياته وبعد وفاته، والتمسك بسنته، والدفاع عنه ضد أي استهزاء، أو استخفاف بسنته، مثل تلك الرسومات السيئة التي قام بها ذلك الدنماركي الكافر، بقصد النيل من شخص النبي ﷺ خاصة وإهانة المؤمنين عامة، أو اعتقاد عدم صلاحية هذه السنن والتعاليم النبوية لواقعنا المعاصر، ومن إساءة الأدب مع النبي ﷺ التخلي عن طريقه الذي أمر الله بالسير عليه، وتقليد الغرب في مظهرهم ومأكلهم ومشربهم، وفي معاملاتهم وأخلاقيتهم وتشريعاتهم، وهذا من إتباع سبيل ما أنزل الله بها من سلطان، إنها سُبل الشيطان يدعو إليها حزبه وأتباعه، فيا حبذا لو التزمنا منهجه واتبعنا طريقهﷺ، لاستطعنا أن ننهض بأمتنا ونعيد مجدنا العريق.

لأن " التحاكم إلى غير حكم الله ﷻ والرسول ﷺ، مع وجود حكم الله أو حكم رسولهﷺ، تحاكم إلى الطاغوت، والمسلم منذ يعلن إسلامه يعطي عهدا بقبول أحكام الله ﷻ وأحكام الرسول ﷺ، مهما كانت مخالفة لأهوائه الخاصة، ومادام المنافق غير مؤمن إيمانا صادقا فإنه لا يجد في نفسه دافعا لالتزام أحكام الله والرسول ﷺ، فلابدّ أن يميل إلى التحاكم إلى غير أحكام الله حينما يرى أنها قد تكون أرضى لهواه"[1].

(1) – الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (1/592- 593).

المطلب الثاني: التأدب في الخطاب مع النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[الحجرات:2-5].

الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.

كان النداء الأول لتقرير جهة القيادة ومصدر التلقي، وجاء النداء الثاني لتقرير ما ينبغي من أدب للقيادة وتوقير، وكان هذا وذلك هو الأساس لكافة التوجيهات والتشريعات في السورة، فلا بد من وضوح المصدر الذي يتلقى عنه المؤمنون، ومن تقرير مكان القيادة وتوقيرها، لتصبح للتوجيهات بعد ذلك قيمتها ووزنها وطاعتها[1].

الفرع الثاني: المعنى العام للآيات.

إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم، وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله ﷺمن الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم، وذلك لأنّ في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به، فإذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحدّ الذي يبلغه بصوته، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم، وجهره باهرا لجهركم[2].

فنادهم الله سبحانه: يا أيها الذين آمنوا وقروا النبي الذي دعاكم إلى الإيمان، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون، ليحذروا هذا المزلق الذي قد ينتهي بهم إلى حبوط أعمالهم، وهم غير شاعرين ولا عالمين، ليتقوه![3].

(1) – في ظلال القرآن، سيد قطب، (3340/6).

(2) – ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (351/4-352).

(3) – ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ، (6/ 3339).

لأن رفع الصوت عنده يؤدي إلى غضبه ﷺ فيغضب الله لغضبه، فيحبط الله عمل من أغضبه وهو لا يدري، كما جاء في الصحيح: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا يكتب له بها الجنة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا، يهوي بها في النار أبعد ما بين السموات والأرض[1]"[2].فقد بين تعالى أن توقيره واحترامه ﷺ بغض الصوت عنده لا يكون إلا من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، أي أخلصها لها وأن لهم بذلك عند الله المغفرة والأجر العظيم ومعلوم أن حرمة النبي ﷺ بعد وفاته كحرمته في أيام حياته، ومن هذا ما روي عن سيدنا عمر رضي الله عنه، "أنه شدد النكير على رجلين من غير المدينة رفعا أصواتهما في مسجده ﷺحيث قال لهما: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا[3]". لأن أهل المدينة يعلمون نهي الله سبحانه عن رفع الصوت عند النبي ﷺ في حياته وبعد وفاته، لأنهم ممن اختصوا بمشاهدة نزول هذه الآيات الكريمة.

ثم ذم اللَّه تبارك وتعالى الذين ينادون رسول ﷺ من خلف أو قدام الحجرات،وهم جفاة بني تميم، حيث وصف أكثرهم بالجهالة لأنهم لا يعقلون الأصول والآداب والأشياء، ولا يدركون ما يجب لك من التعظيم والاحترام، ولو صبروا حتى تخرج إليهم كالمعتاد، لكان لهم في ذلك الخير والمصلحة في الدنيا والآخرة، لما فيه من رعاية حسن الأدب مع رسول ﷺ ورعاية جانبه الشريف، واللَّه غفور لذنوب عباده، رحيم بهم، لا يؤاخذ مثل هؤلاء فيما فرط منهم من إساءة الأدب[4].

(1) – ينظر: صحيح البخاري، كتاب: الرقائق، باب: حفظ اللسان، رقم: 6113، (2377/5).

(2) – ينظر: تفسير القرآن العظيم، بن كثير، (368/7).

(3) – ينظر: صحيح البخاري، محمد البخاري، كتاب: أبواب المساجد، باب: رفع الصوت في المساجد، رقم: 458، (1/ 179).

(4) – ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي،(221/26).

الفرع الثالث: مقاصد الآيات.

1- تأديب الله المؤمنين في خطابهم مع النبي ﷺ، ونهيهم أن يرفعوا أصواتهم بين يديه ﷺ، ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه، بل يخاطبه بسكينة ووقار وتعظيم[1].

ومن مظاهر الأدب معه ﷺ[2]:

- طاعته واقتفاء أثره، وترسُمِ خطاه في جميع مسالك الدنيا والدين.
- أن لا يُقدم على حبه وتوقيره وتعظيمه حب مخلوق أو توقيره أو تعظيمه كائنا ما كان.
- موالاة من كان يوالي، ومعاداة من كان يعادي، والرضا بما كان يرضى به، والغضب لما كان يغضب له.
- تصديقه في كل ما أخبر به من أمر الدين والدنيا، وشأن الغيب في الحياة وفي الآخرة.
- إحياء سنته وإظهار شريعته، وإبلاغ دعوته، وإنفاذ وصاياه.
- حب الصالحين وموالاتهم بحبه، وبغض الفاسقين ومعاداتهم ببغضه.

2- تعليم العرب وغيرهم مكارم الأخلاق وفضائل الآداب، إذ كان في العرب جفاء وسوء أدب في خطاب النبي ﷺ[3]. وهذا من عناية الله تعالى بتهذيب عباده، للوصول بهم إلى درجات الكمال والأدب الرفيع.

3- من مقاصد الآيات أن النهي عن رفع الصوت، هو الذي فيه قلة احترام وتقدير، أي الخالي من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها[4].

4- من مقاصد الآيات الحث على الصبر، لأن الصبر يؤدي إلى حصول المأمول على أكمل وجه.

4- قصد في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾الحث على التوبة والإنابة إلى اللّه تعالى[5].

---

(1) – ينظر: تفسير القرآن العظيم، بن كثير، (365/7-368).

(2) – ينظر: منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، (65/1-67).

(3) – ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي ، (221/26).

(4) – ينظر: المصدر نفسه ، (222/26).

(5) – ينظر: تفسير القرآن العظيم، بن كثير، (369/7).

5- من مقاصد الآيات وجوب تعظيم العلماء وتبجيلهم ومخاطبتهم باحترام لأنهم ورثة الأنبياء، وكذا الحكام وأولي الأمر لأنهم ممن يتلقى منهم الأمر وتجب لهم الطاعة.

الفرع الرابع: علاقة الآيات بمحور السورة.

تحدثت الآيات عن آداب الخطاب مع النبي ﷺ، وذلك بتعظيمه ومخاطبته بوقار وسكينة، كما مدحت الآيات من يغضون أصواتهم عند النبي ﷺ ووصفتهم بخلوص قلوبهم للتقوى، وندبت إلى ذلك وبشرت بالمغفرة والأجر العظيم لمن التزم الأدب مع النبي ﷺ، في حين ذم الله ﷻ جفاء وفد بني تميم في معاملتهم السيئة مع النبي ﷺ، ووصفهم بعدم التعقل وسوء الأدب في مناداته باسمه وفي وقت يُكره فيه إخراجه من بيته، ثم أرشدهم إلى خلق الصبر، فلو أنهم تحلو بالصبر لكان خيرا لهم، فالآيات في ترسيخ الآداب مع النبي ﷺ وتعليم الأخلاق الفاضلة للجفاة من العرب، وتهذيبهم لإقامة مجتمع فاضل على مستوى راق في التعامل مع القيادة العليا، وهذا ما عنيت السورة به وحثت عليه من تثبيت للأخلاق والآداب الاجتماعية.

الفرع الخامس:ربط الآيات بالواقع.

إن من حسن الخلق أن نلتزم الأدب مع نبينا ﷺ ونعمل بسنته، لأنه المبلغ عن الله ﷻ الذي بعثه ليتمم مكارم الأخلاق ويثبت غرسها، فنحن بحاجة إلى إتباع الهدي النبوي لتحقيق مجتمع مبني على الأخلاق الحميدة والفضائل السامية والأدب الجم، وبحاجة إلى تعلم آداب الخطاب مع آبائنا ومعلمينا وتوقيرهم، وكذا آداب الاستئذان على الغير خصوصا ونحن في مجتمع كثر فيه التقليد لمجتمعات غير إسلامية، لذا فلابد من إتباعنا لما كان عليه سلف هذه الأمة من توقير للنبي ﷺ وصحابته الكرام، وكذا تبجيل العلماء واحترامهم، فواقعنا اليوم يشهد تخلف أخلاقي سببه عدم اتباع الهدي النبوي، وقلة احترام العلماء الذين هم قدوتنا.

المبحث الثاني:

جملـــــة آداب عامـــــــــة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وجوب التثبت في الأخبار.

المطلب الثاني: فض الخلاف والإصلاح بين المؤمنين.

المطلب الثالث:آداب المؤمن مع المؤمن ومع الناس كافة.

أتطرق في هذا المبحث – إنشاء الله- إلى دراسة جملة من الأخلاق التي ذمها القرآن الكريم ونهى عنها، وبيّن مدى خطرها على الفرد والمجتمع، بسبب ما ينتج عنها من قتال وحروب، إضافة إلى ما تورثه من بغضاء وعداوة بين المسلمين، وانتشار للأخلاق السيئة وفرقة للجماعات، وذلك في ثلاثة مطالب كالأتى:

المطلب الأول: وجوب التثبت في الأخبار.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[الحجرات:6-8].

الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.

لما أنهى سبحانه ما أراد من النهي عن أذى الرسول ﷺ في نفسه، وكان من ذلك أذاه في أمته، فإنه عزيز عليه ما عنتوا وكان من آذاه فيهم فاسقاً، وكان أعظم الأذى فيهم ما أورث كرباً فأثار حرباً، وكان ربما اتخذ أهل الأغراض هذه الآداب ذريعة إلى أذى بعض المسلمين فقذفوهم بالإخلال بشيء منها فوقعوا هم فيها فيما قذفوا به غيرهم من الإخلال، جاء هذا النداء الثالث يبين للمؤمنين كيف يتلقون الأنباء وكيف يتصرفون بها ويقرر ضرورة التثبت من مصدرها[1].

الفرع الثاني: المعنى العام للآيات.

أدب الله عباده المؤمنين بأدب نافع لهم في دينهم ودنياهم، أنه إذا جاءهم الفاسق بأيّ خبر، لا يصدقونه بادئ ذي بدء حتى يتثبتوا، ويتطلبوا انكشاف الحقيقة ولا يعتمدوا على قوله، فإن من لا يبالى بالفسق لا يبالى بالكذب الذي هو من فصيلته[2]."وفي الآية إشارة إلى ترك الاستماع إلى كلام الساعي والنمّام والمغتاب للناس"[3].

---

(1) – ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ، (363/18)، في ظلال القرآن، سيد قطب، (3341/6).

(2) – ينظر:تفسير المراغي، المراغي، (126/26).

(3) – لطائف الإشارات، القشيري، (439/3).

فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة[1].

ثم أخبرهم الله تعالى عن أهمية وجود النبي ﷺ معهم، وهو الذي يأتيه الوحي من الله عزوجل فيوجههم لأسلم الأمور وأحسنها، خاصة في الأمور الغيبية والمستعجلة، فقال لهم تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾.

أي: اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه، وتأدبوا معه، وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم، وأشفق عليكم منكم، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم[2]،لأنه لو أطاعكم في كثير مما تخبرونه به من الأخبار، وتشيرون عليه من الآراء غير الصائبة، لأدى ذلك إلى الوقوع في المشقة.

ولكن اللَّه حبّب إليكم الإيمان أي جعله أحب الأشياء إليكم، وحسّنه بتوفيقه وتثبيته في أعماق قلوبكم، وجعل كلا من الكفر والفسوق والعصيان وعدم الطاعة مكروها عندكم وهذا ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾أي تفضلا منه عليكم[3].

(1) – ينظر:تيسير الكريم الرحمن، السعدي،(799/1).

(2) – ينظر: تفسير القرآن العظيم، بن كثير، (372/7).

(3) – ينظر:التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (228/26-229).

الفرع الثالث: مقاصد الآيات.

1- المحافظة على رابطة الأخوة في المجتمع المسلم، وذلك من خلال التثبت من الأخبار المنقولة والروايات المروية، أخذا بالحيطة والحذر، ومنعا من إيذاء الآخرين بأخطاء فادحة، فيصبح المتسرع في التصديق والحكم نادما على العجلة وترك التأمل والتأني.

فقد عاب الله المتسرعين إلى إذاعة الأخبار التي يخشى من إذاعتها حصول الفتن والقلاقل[1]، فالله يأمر بالتثبت وعدم العجلة في الأمور كلها، وخاصة التي يخشى من سوء عواقبها.

2- من مقاصد آية الفاسق قبول خبر العدل الصادق، وعدم طلب التثبت من خبره، لأنه إنما أمر المسلم في الآية بالتثبت عند نقل خبر الفاسق، الذي ثبت فسقه.

3-تعليم المسلمين إتباع ما شرع لهم رسول الله ﷺ من الأحكام، ولو كانت غير موافقة لمصالحنا[2]، لأن الرسول ﷺ مبلغ عن الله عزوجل العالم بما فيه صلاحنا في الدنيا والآخرة.

4- بيان فضل الله علينا إذ هدنا إلى الإيمان وحببه إلى قلوبنا، ووفقنا إلى اتباع ما جاء به نبيه ﷺ وكره إلينا الكفر والفسوق، وهذا من رحمته بنا وفضله علينا.

الفرع الرابع: علاقة الآيات بمحور السورة.

ترشد الآيات الكريمة المؤمنين في كل زمان ومكان إلى كيفية استقبال الأخبار استقبالا سليما، وكيفية التصرف معها تصرفا حكيما، فتأمرهم بضرورة التثبت من صحتها، وعدم التسرع في تصديقها،ليعيش المجتمع الإسلامي في أمان واطمئنان، بعيدا عن كل ما يؤدي إلى تشتته وانحلاله، فالآيات الكريمة قد رسمت للمؤمنين أحكم الطرق في تلقى الأخبار، وأرشدتهم إلى مظاهر فضل الله عليهم، لكي يستمروا على شكره وطاعة رسوله ﷺ، وبهذا تظهر العلاقة بين طلب التثبت في مصادر الأخبار وبين ما جاءت السورة لتأسيسه من بناء مجتمع يتصف بالصدق ويتحلى بالمكارم ويترفع عن الكذب والفسق.

---

(1) – ينظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن ، السعدي ، (116/1).

(2) – ينظر:التحرير والتنوير،بن عاشور، (234/26).

الفرع الخامس: ربط الآيات بالواقع.

نعيش اليوم في واقع تكثر فيه الإشاعات والأكاذيب، والعجيب في ذلك تصديقها وعدم التثبت منها، وهذا ما أدى إلى كثرة الصراعات وسفك الدماء وتفكك المجتمع،كل هذا نتيجة الأخبار الخاطئة والافتراءات التي يروجها الفساق والكذابون، لهدم وحدة المجتمع الإسلامي وتقويض أركان الأمة، فقد بتنا لا نميز بين الصادق والكاذب، والصديق من العدو، فنحن نعيش في زمان اختلطت فيه الموازين والمعايير، وإذا قصدنا بيانها ما استطعنا فما أحوجنا اليوم إلي إتباع التشريع الرباني والهدي النبوي في التثبت من الأخبار والتحقق من الأقوال، دون تسرع في تصديقها أو إلقاء الأحكام بناءا عليها، وكذا عدم الاستعجال في تنفيذها، بل يجب التريث فيها وكشف صدقها من عدمه، ليقوم المجتمع على الصدق والأمان وتصان فيها الأعراض والدماء.

المطلب الثاني: فض الخلاف والإصلاح بين المؤمنين.

قال تعالى:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الحجرات: 9-10].

الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.

بعد أن حذّر اللّه تعالى المؤمنين من نبأ الفاسق، أبان في هذه الآيات ما يترتب على خبره من الفتنة والنزاع، وربما الاقتتال، فطلب تعالى الإصلاح بالوسائل السلمية بين المتنازعين كالنصيحة والوعظ والإرشاد والتحكيم، فإن بغت إحدى الفئتين على الأخرى، فتقاتل الباغية الظالمة، حتى ترجع إلى الحق وتقر به، ثم علل الأمر بالصلح بوجود رباط الأخوة بين الفريقين، ثم أمر الوسطاء والأطراف المتنازعة بتقوى اللّه وطاعة أوامره[1].

الفرع الثاني: المعنى العام للآيات.

ما زال السياق الكريم في طلب تأديب المسلمين وتربيتهم وإعدادهم للكمال الدنيوي والأخروي، ففي الآيتين من هذا السياق يرشد الله تعالى المسلمين إلى كيفية علاج مشكلة النزاع المسلح بين المسلمين، الذي قد يحدث في المجتمع الإسلامي بحكم الضعف الإنساني من الوقت إلى الوقت، وهو مما يكاد يكون من ضروريات الحياة البشرية[2]، والقرآن قد واجه- أو هو يفترض- إمكان وقوع القتال بين طائفتين من المؤمنين، ويستبقي لكلتا الطائفتين وصف الإيمان مع اقتتالهما، ومع احتمال أن إحداهما قد تكون باغية على الأخرى، بل مع احتمال أن تكون كلتاهما باغية في جانب من الجوانب، وهو يكلف الذين آمنوا- من غير الطائفتين المتقاتلتين طبعا- أن يقوموا بالإصلاح بين المتقاتلين، فإن بغت إحداهما فلم تقبل الرجوع إلى الحق- ومثله أن تبغيا معا برفض الصلح أو رفض قبول حكم الله في المسائل المتنازع عليها- فعلى المؤمنين أن يقاتلوا البغاة إذن، وأن يظلوا يقاتلونهم حتى

(1) – التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (237/26).

(2) – ينظر:أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (128/5).

يرجعوا إلى أمر الله؛ وأمر الله هو وضع الخصومة بين المؤمنين، وقبول حكم الله فيما اختلفوا فيه، فإذا تم قبول البغاة لحكم الله، قام المؤمنون بالإصلاح القائم على العدل الدقيق طاعة لله وطلبا لرضاه[1].

ثم أمر اللَّه تعالى بالإصلاح في غير حال القتال ولو في أدنى اختلاف، فقال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾أي تتميما للإرشاد ذكر تعالى أن المؤمنين إخوة في الدين، ويجمعهم أصل واحد وهو الإيمان، فيجب الإصلاح بين كل أخوين متنازعين، وزيادة في أمر العناية بالإصلاح بين الأخوين أمر اللَّه بالتقوى، بأن تلتزموا الحق والعدل ولا تحيفوا ولا تميلوا لأحد الأخوين، فإنهم إخوانكم، والإسلام سوّى بين الجميع، فلا تفاضل بينهم ولا فوارق، لعلكم ترحمون بسبب التقوى[2].

الفرع الثالث: مقاصد الآيتين.

1- المحافظة على وحدة الأمة والعمل على سلامة هذه الوحدة، وصيانتها من العبث والبغى، فعلى ولاة الأمور وحكام الدول الإسلامية الإصلاح بين كل فئتين متقاتلتين مسلمتين، بدعوتهما إلى تحكيم كتاب اللَّه، وبالنصح والإرشاد، والجمع والتوفيق بين وجهات النظر، كما يجب على المسلمين المبادرة إلى إصلاح ذات البين كلما حصل فساد أو خلل بين طائفتين، أو جيران أو أقارب.

2- إذا بغت طائفة من المؤمنين على أخرى، وجب تعاون المسلمين على تأديب الجماعة التي تبغي وتعتدي حتى تفيء إلى الحق، وذلك بقتال الباغية حتى تفيء إلى أمر الله ﷻ.

3- إذا رجعت الفئة الباغية إلى الحق لابد من الإصلاح بينهما بالعدل، وعدم استغلال رجوع الفئة الباغية بحرمانها حقها.

4- تقرير الأخوة الإسلامية ووجوب تحقيقها بالقول والعمل، فقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين

(1) – ينظر:في ظلال القرآن، سيد قطب ، (3343/6).

(2) – ينظر:التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (239/26).

أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب[1].

الفرع الرابع: علاقة الآيتين بمحور السورة.

تكثر الخلافات في المجتمع بين أخوين أو طائفتين أو أكثر، بسبب صراع أو جدال وأحيانا تكون لأتفه الأسباب، وتتفاقم حتى تؤدي إلى التشاجر والعنف، ثم تتطور لتصل إلى حد الاقتتال والتفرق، وإذا لم يستدرك الأمر بالإصلاح فإن ذلك يؤدي قطعا إلى تمزق أواصر المجتمع، وضعف الروابط بين أبناءه، فمن الواجب القيام بالصلح ورد المتخاصمين إلى الحق، حفاظا على وحدة الأمة، وجمع شمل المسلمين، ففي الآيتين تشريعٌ عملي عظيم لصيانة المجتمع الإسلامي، وحمايته من الخصام والتفكك والتمزق، ولذلك جاءت الأوامر الإلهية السديدة لتعالج هذا الخلل الطارئ، وتضع منهجاً قويماً لإنهاء الفتنة وإخمادها قبل أن يستفحل أمرها ويزداد خطرها، مع تحري العدل والتقوى في الحكم بين المؤمنين، فذلك أدعى إلى رحمة الله وعفوه ومغفرته، وأقوم لمجتمع فاضل يقوم على الخير والفضيلة والخلق الحسن، لتتكامل بذلك أخلاق المجتمع الإسلامي التي رسمتها السورة وأرشدت إليها.

الفرع الخامس: ربط الآيات بالواقع.

نرى في واقعنا اليوم الكثير من النزاعات والمشادات، بين الأشخاص والأسر والدول بسبب أشياء دنيئة وحقيرة، لا تستحق صرف الهمم إليها، أكثرها تدخلات في شؤون الآخرين وخصوصياتهم، وأيا كانت الأسباب والدواعي فهذا ناتج عن ضعف الوازع الإيماني والبعد عن التشريع الحكيم، ومن سنة الله في خلقه أن يقع الخلاف والنزاع بين أفراد البشر وجماعاتهم، ولكن الأولى إصلاح ذات البين والقضاء على الخلافات بالعدل والتراضي، وحسم الأمور قبل أن تستفحل وتستشري، فإذا تركت أصبح من الصعب التوفيق والتقريب بين الأطراف المتنازعة، ومما زاد من انتشار هذه الخلافات تأثر المسلمون بالغرب في عاداتهم وتصرفاتهم، مما أبعدهم عن المنهج الصحيح والصراط المستقيم الذي يدعوا إلى الالتحام والتكاثف، من أجل جمع الشمل وتحصين الأمة من الشتات والاضمحلال، فأصبحنا

(1) – ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري ، (131/5)،.

نسمع كل يوم عن اقتتال بين إخوة أو جيران أو فرق بسبب إشاعات أو أقوال واهية، تفضي إلى العداوة والبغضاء، وهذا ما يسعى الأعداء إلى حصوله لكي لا تقوم قائمة لهذا الدين وأهله، فتجدهم يسعرون نار الفتنة ويدعمونها بكافة وسائل الدعم من سلاح وخطط، من أجل القضاء على المجتمع الإسلامي بيديه في عقر داره، ولعلاج هذا الخطر الكبير لابد من التحلي بأخلاق إيمانية مستمدة من الوحي الرباني والهدي النبوي، والمسارعة إلى الإصلاح وإطفاء نار الفتن قبل انتشارها، وذلك بالعدل والإحسان، لترتقي الأمة بذلك حيث أراد لها ربها من الريادة وقيادة العالم.

المطلب الثالث: آداب المؤمن مع المؤمن ومع الناس كافة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجرات: 11-13].

الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.

بعد أن بيّن اللّه تعالى وأرشد إلى ما ينبغي أن تكون عليه جماعات المؤمنين مع بعضهم من تلاحم وترابط وأخوة، بيّن في هذه الآيات ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع المؤمن ومع الناس كافة، من الامتناع عن السخرية، والهمز واللمز والتنابز بالألقاب، وإساءة الظن وتتبع عورات الناس ومعايبهم، والغيبة والنميمة، ووجوب المساواة بين الناس، واعتقاد أن معيار التفاضل والتمييز هو التقوى والصلاح وكمال الأخلاق[1].

(1) – التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (250/26).

الفرع الثاني: المعنى العام للآيات.

تعرضت الآيات الواقعة عقب هذا النداء لصنف مُهمّ من معاملة المسلمين بعضهم لبعض، مما فشا في الناس من عهد الجاهلية التساهلُ فيه، وهي إساءة الأقوال، والتي يقتضي النهي عنها الأمر بأضدادها، وتلك المنهيات هي السخرية واللمز والنبز[1]. فقد نهى الله أن يسخر قوم بقوم، فلعلهم خير منهم عند الله، أو أن يسخر نساء من نساء فلعلهن خير منهن في ميزان الله،إذ من عوامل النزاع والتقاتل وأسبابهما سخرية المؤمن بأخيه، واحتقاره لضعف حاله ورثاثة ثيابه وقلة ذات يده، فحرم تعالى بهذه الآية على المسلم أن يحتقر أخاه المسلم، لأن العبرة بما عند الله لا بما عند الناس، والرجال في هذا والنساء سواء، وحرم كذلك اللمز والتنابز بالألقاب، أي لا يعب بعضكم بعضا بأي عيب من العيوب فإنكم كشخص واحد فمن عاب أخاه المسلم إنما عاب نفسه، ولا يلقب المسلم أخاه بلقب يكرهه فإن ذلك يفضي إلى العداوة والمقاتلة [2]، ثم نهى الله تعالى عن الظن كله وبعضه، وهو أن يظن بأهل الخير سوء، وهذا هو الظن القبيح، وهو متعلق بمن ظاهره الصلاح والخير والأمانة[3]، كما نهى الله سبحانه عن التجسس الذي هو من آثار الظن، لأن الظن يبعث صاحبه إلى تحقيق ما ظنه سراً فيسلك طريق التجسس، فحذرهم الله من سلوك هذا الطريق للتحقق[4].

كما نهى الله عن الغيبة ونفر منها، وهي أن تذكر الرجل بما يكرهه، ومثل سبحانه الغيبة بأكل الميتة، لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه، كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه، ثم قال لهم: واتقوا الله بترك ما أمركم باجتنابه إن الله تواب رحيم، لمن اتقاه وتاب عما فرط منه من الذنب ومخالفة الأمر[5].

وفي نهاية هذا المقطع ذكّر الله الناس بأصلهم الواحد، وهو أن الجميع خلقوا من ذكر وأنثى.

---

(1) – ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (246/26)، المحرر الوجيز من تفسير الكتاب العزيز، بن عطية، (149/5).

(2) – ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (129/5-130).

(3) – ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (254/26).

(4) – ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (253/26-254).

(5) – ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (76/5-77).

فقال تعالى: يا أيها الناس، يا أيها المختلفون أجناسا وألوانا، المتفرقون شعوبا وقبائل إنكم من أصل واحد فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددا، والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم من ذكر وأنثى، وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات[1].

الفرع الثالث: مقاصد الآيات.

1- النهي عن السخرية، واللمز، والتنابز بالألقاب، ومن فعل ما نهى اللَّه عنه منها فذلك فسوق، وهو من الظالمين أنفسهم بتعريضها بسبب ظلمه غيره إلى العذاب والعقاب إن لم يتب.

2- أفرد النساء بالذكر لأن السخرية منهن أكثر، فنهى النساء عنها نهيًا مستقلا عن نهى الذكور لكثرة وقوعها بينهن.

3- التنبيه على أن الله تعالى تواب يقبل توبة التائب ويشمله برحمته، وهو إنذار للذين لا يرتدعون ولا يتوبون فهم ظالمون باغون[2].

4- المحافظة على أعراض الناس، وذلك بالنهي عن سوء الظن بهمالذي يؤدي إلى التجسس عليهم،ثم التحدث عنهم بما يكرهون وهذا من الغيبة التي حرمها الله في الآية، فقد أمر الله المسلمين باجتناب الظنون والتخمينات التي تؤدي إلى الوقوع في الإثم التي هي أكبر منها.

5- في قوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾تمثيل مقصود منه استفظاع الممثَّل وتشويهه، لإفادة الإغلاظ على المغتابين لأن الغيبة متفشية في الناس وخاصة في أيام الجاهلية[3].

(1) – ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (3348/6).

(2) – ينظر: التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، (512/8).

(3) – ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (255/26).

6- الحث على المساواة بين الناس، وتوضيح أن الاختلاف الموجود بين الناس هو من أجل التعارف والتعاون، وأن التفاضل والخيرية بالتقوى والعمل الصالح.

فالإسلام لا يعترف بالدماء ولا بالأعراق، ولا يعترف بتعدد الألوان، ولا يعترف كذلك بالقوميات والشعوبيات، وأنها ما وجدت إلا حيث وجد الكفر بهذا الدين والرد على هذا الدين[1].فالاختلاف الواقع بين الناس، وتمايزهم شعوبا وأمما، هو في الواقع سبب تعارفهم وداعية إلى قيام هذه الوحدات الحية في كيان المجتمع الإنساني، الممثلة في الشعوب والأمم[2].

الفرع الرابع: علاقة الآيات بمحور السورة.

في هذه الآيات الكريمة العظيمة ينهى الله تعالى الذين أمنوا عن قبائح اجتماعية ست من شأنها بذر بذور الفرقة والعداوة والبغضاء، لما فيها من إيذاء وإضرار بالآخرين، وهي قبائح تشتمل على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وكل ظلم من شأنه أن يورث العداوة والبغضاء، ويوقع الفرقة بين الجماعة الواحدة، ثم بين تعالى الأصل الواحد لكل البشر فهم جميعاً من أب واحد وأم واحدة، فلا تفاخر ولا تفاضل لأحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى والبعد عن المنهيات، والالتزام بالأخلاق الفاضلة، وترك غيرها مما يتعارض مع أخلاق المجتمع الإسلامي، التي تحدثت عنها السورة وفصلتها وفحصت سقيمها، ثم وصفت العلاج منها وبينت جوهرها في إقامة مجتمع متلاحم ومترابط الأواصر.

الفرع الخامس: ربط الآيات بالواقع.

في مجتمعنا اليوم منهيات ومساوئ لا تتناسب مع أخلاق المجتمع المسلم، فيجب تركها والابتعاد عنها، منها السخرية بالناس والاستهزاء بهم، واللمز والتنابز بالألقاب المنفرة، أضف إلى ذلك سوء الظن الذي يلوث الضمائر ويوقع في الآثام، وكذا التجسس على عيوب الناس وخصوصياتهم، وتتبع سوآتهم، وكذلك الغيبة المنتشرة بصفة واسعة، بحيث لا يخلو منها مجلس، فكل هذه الأخلاق الذميمة موجودة في واقعنا اليوم، ومستفحلة بين الناس دون إحساس منهم بخطرها المهدم لأواصر المجتمع والعابث فيه بلا هوادة، وكأن

(1) – ينظر: مجتمع المثل، عائض القرني، ص:153.

(2) – ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (453/13).

الجميع لا يستشعر شدة فتكها وما ينجم عنها من قتال وحروب، وما تورثه من بغضاء وحب للانتقام، فالناس غافلون عن محاربة هذه الأسقام وعلاجها، بما وصفه لهم خالقهم العالم بنفوسهم والخبير بضمائرهم وتقلباتهم، فقد أصبحت مرضاً مزمناً يحتاج إلى علاج مكثف ومتواصل وناجع يقتلعها من جذورها، وهناك مرض آخر عالجه القرآن وهو التفاخر بالأحساب والأنساب، والتعالي بالغنى والثراء دون اعتبار لميزان الله الذي جعله مقياس التمايز والتفاضل بين الناس، وهذا حال أغلب المجتمعات المعاصرة، التي تعاني انحرافات أخلاقية سلوكية تؤدي بالمجتمع إلى الانحطاط والضعف والهوان، فقد ورد النهي عن جميع هذه الأمور التي تكون سببا للقطيعة والهجران، والتي تفضي إلى فصم عرى الأخوة والإيمان، من أجل مقاومة هذه الأخلاق الخسيسة ولتحقيق نظافة القلوب لابد من العودة إلى كتاب الله لنأتمر بأمره، وننتهي بنهيه، ونتخلق بأخلاق النبي ﷺ وصحابته الكرام.

المبحث الثالث:

أصـول الإيمـان الصحيـــح.

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: حقيقة الإيمان والإسلام.

المطلب الثاني: عدم المن على الله بالدخول في الإسلام.

أتطرق – بحول الله – في هذا المبحث إلى بيان ما ختمت به السورة من حقيقة الإسلام والإيمان، وصفات المؤمنين الصادقين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وذم الأعراب الذين منوا على الله ورسوله بالإيمان، وحقيقة أمرهم مجرد الإسلام، وتقرير أن المنة لله عليهم أن هداهم للإسلام ووفقهم له، وهو العالم بحالهم وبما في السموات وما في الأرض.

المطلب الأول: حقيقة الإيمان والإسلام.

قوله تعالى:﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[الحجرات:14-15].

الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.

بعد أن حث اللَّه تعالى على التقوى وعدم التفاضل، قالت الأعراب لنا النسب الشريف، فافتخروا ومنوا بالإيمان، فذمّهم اللَّه تعالى، وأبان ضعف إيمانهم، وحدد أصول الإيمان الصحيح: وهي التصديق بالله ورسوله، والإخلاص في القلب، والجهاد بالنفس والمال في سبيل اللَّه وطاعته وإعلاء دينه[1].

الفرع الثاني: المعنى العام للآيات.

يخبر تعالى عن مقالة الأعراب، الذين دخلوا في الإسلام في عهد رسول الله ﷺ دخولا من غير بصيرة، ولا قيام بما يجب ويقتضيه الإيمان، وادعوا مع هذا وقالوا: آمنا أي: إيمانًا كاملا مستوفيًا لجميع أموره، فأمر الله رسوله ﷺ، أن يرد عليهم، فقال: ﴿**قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا**﴾أي: لا تدعوا لأنفسكم مقام الإيمان، ظاهرًا، وباطنًا، ﴿**وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا**﴾أي: دخلنا في الإسلام، واقتصروا على ذلك[2].

(1) – ينظر:التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (269/26).

(2) – ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (802/1).

ثم بين الله تعالى لهم حقيقة المؤمنين الذين أمنوا حقا، ولميشكوا ولم يرتابوا، بل ثبتوا على حال واحدة، وهي التصديق المحضوبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه، فهؤلاء هم المؤمنون الصادقون الذين يستحقون وصف الإيمان.

الفرع الثالث: مقاصد الآيتين:

1- أثبت الله ﷻ الإسلام للأعراب، ونهاهم أن يمنوا على رسول الله ﷺ، ولو لم يكن إسلامهم صحيحا لقال لهم لم تسلموا بل أنتم كاذبون[1]، والآية خاصة ببعض الأعراب لا جميعهم، لأن منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر كما وصف الله تعالى.

2- من مقاصد الآية نفي الإيمان المطلق عنهم، لا أصل الإيمان لوجوده[2]، أي نفى عنهم كمال الإيمان لا أصله.

ومقصود الآية تصحيح لما يفهمه الأعراب من الإيمان، فهو ليس كلمة تقال، وإنما هو عقيدة، وعمل يقوم في ظل هذه العقيدة[3].

3- بيان الإيمان الصحيح وعلو درجته، فالإيمان باللفظ ليس إيمانا عند الله، بل هو إسلام وخضوع ظاهري.

4- بيان أن المؤمنين حقا الذين أمنوا ولم يشكوا، وصدق ذلك جهادهم في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، لأن عمود الإيمان الجهاد في سبيل الله تعالى.

5- حرض اللَّه تعالى على الإيمان الصادق والإخلاصفي العمل،لينتقلوا من الإسلام إلى الإيمان، وأن يجعلوا هذه الكلمات التي دخلوا بها في الإسلام غرسا طيبا يغرسونه في قلوبهم، ليكونوا في المؤمنين حقا، ويكونوا لهم كل ما للمؤمنين عند الله من رحمة ورضوان.

الفرع الرابع: علاقة الآيتين بمحور السورة.

تحدثت الآيات عن تظاهر الأعراب بالإيمان، وتعاملهم مع الأحكام دون إيمان حقيقي بها، وهم لم يدخلوا بعد ساحة الإيمان التام ولم يستقر في قلوبهم بل مازالوا في إطار الإسلام العام، ادعوا ذلك كذباً ورياء، مما أدي إلى انكشاف أمرهم وافتضاحه

(1) – ينظر: الضوء المنير على التفسير، ابن قيم الجوزية ، (428/5).

(2) – ينظر: المصدر نفسه، (427/5).

(3) – ينظر: التفسير القرآني القرآن، عبد الكريم الخطيب، (456/13).

أمام الخلق، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء، فنبههم الله إلى حقيقة أمرهم وهو دخولهم الإسلام خوفا واستسلاما دون تمكن الإيمان من قلوبهم، فأدبهم الله وأرشدهم إلى الصدق، وأمرهم بطاعة الله ورسولهﷺ، ثم بين تعالى أخلاق المؤمنين الصادقين بأنهم آمنوا حقيقة ولم يرتابوا في هذا الإيمان، ودليل صدق إيمانهم جهادهم بالمال والنفس في سبيل الله، فالله مطلع على صدق الصادقين، وكذب الكاذبين، فالواجب على المسلمين أن يصدقوا في كل شيء ويرتقوا إلى الإيمان الصحيح، الذي يُصدِّقُه العمل بأمر الله سبحانه واجتناب كل ما نهى عنه، وهذا ما نادت به السورة أصحاب الإيمان الصادق خمسة مرات وشرفتهم به، لأن إيمانهم الراسخ يحملهم على تلبية النداء دون تراخي أو تماطل، باستجابة فورية لله ورسوله ﷺ.

الفرع الخامس: ربط الآيات بالواقع.

الناس في الإيمان متفاوتون مختلفون درجات بعضها فوق بعض، فمن الناس من يدّعون الإيمان وهم في هذه الدعوى كاذبون منافقون،ومنهم من يؤمن في الرخاء فإذا أصابته شدة انقلب على عقبه وكفر بنعمة ربه، ومنهم من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، وما أكثرهم اليوم، كأولئك الذين انتسبوا للإسلام كذباً وخداعاً ويظهرون الصلاح وصدق الأخلاق، وهم في الحقيقة والواقع أعداء هذا الدين بكل ما فيه من قيم ومبادئ وأخلاق سمحة، فهم مرضى القلوب أصحاب مصالح ومنافع، فإن حققوا مرادهم استمروا مع المسلمين، وإن لم يحققوا غايتهم تراهم يتضجرون ويسخطون على الله، والذي يكشف زيفهم ويظهر حقيقتهم الجهاد بالمال والنفس في سبيل دين الله وأمثال هؤلاء يضنون بأموالهم وأنفسهم في سبيل دين الله تعالى لأن الإيمان لم يدخل قلوبهم ولم يباشر أرواحهم.

المطلب الثاني: عدم المن على الله بالدخول في الإسلام.

قال تعالى:﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الحجرات:16-18].

الفرع الأول: مناسبة الآيات التي قبلها.

بعد أن حدد الله أصول الإيمان الصحيح وبين صفات المؤمنين الصادقين، أخبر بأنه يعلم ما في السرائر والعلانية، فيعلم ما هم عليه من ضعف الإيمان وقوته، وأفاد بأنه لا ينبغي لمؤمن أن يمتن على الرسول ﷺ بإيمانه، بل اللّه يمن عليه بتوفيقه للهداية على يد رسوله ﷺ[1].

الفرع الثاني: المعنى العام للآيات.

قل لهؤلاء الأعراب القائلين بأفواههم آمنا، أتعلمون الله بدينكم أي أتخبرونه بقولكم آمنا، بطاعتكم إياه لتكونوا مع المؤمنين عنده، ولا تبالون بعلمه بما أنتم عليه، لأن قولهم آمنا إن كان إخبارا للخلق فلا دليل على صدقه، وإن كان للحق تعالى فلا معنى له لأنهم كيف يُعْلِمونه، وهو العالم بكل شيء[2].ثم ذكر الله تعالى حالهم عندما منوا على الله بالإسلام أي: منوا بالإسلام وزعموا الإيمان، فجاءهم الرد أن المنة لله عليهم لو صدقوا في دعوى الإيمان[3]. ثم أخبرهم الله سبحانه بواسع علمه وإحاطته بكل شيء أي: يأيها الأعراب إن الله لا يخفى عليه الصادق منكم من الكاذب، ومن الداخل منكم في ملة الإسلام رغبة فيه، ومن الداخل فيه رهبة من رسولنا محمد ﷺ وجنده، فلا تعلمونا دينكم وضمائر صدوركم، فإن الله يعلم ما تكنه ضمائر صدوركم، وتحدّثون به أنفسكم، ويعلم ما غاب عنكم في خبايا السموات والأرض.

(1) – ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (269/26).

(2) – ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، (545/8).

(3) – ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (460/13).

الفرع الثالث: مقاصد الآيات.

1-لا حاجة لإعلام اللَّه تعالى بأن الإنسان مؤمن، فهو سبحانه يعلم ما في قلوب خلقه، وهو العالم بما في الكون.

2-عدم المن على الله بأي شيء كان، لأن كل ما نحن فيه من خيرات هو من فضل الله علينا وكرمه.

3-بيان أن المنّة لله تبارك وتعالى في كل شيء، مع صدق العبودية، وكمال الأدب مع الحق تبارك وتعالى؛ ودوام المراقبة[1].

4- الصادقين هم الذين يعترفون بهداية اللَّه لهم، ويشكرون نعمة الله عليهم إذا عرفوا أنها محض فضل من الله عليهم[2].

5- تقرير إحاطة علم الله بسائر المخلوقات، وأنه لا يخفى عليه من أعمال العباد شيء[3]، وفي هذا حث على مراقبة الله سبحانه وتعالى في السر والعلن، وفي الغيبة والشهادة،وأن الله سبحانه وتعالى محيط بأعمال العباد ظاهرها وباطنها.

الفرع الرابع: علاقة الآيات بمحور السورة.

تكشف السورة في ختامها عن ضخامة الهبة الإلهية للبشر، هبة الإيمان التي يمن الله بها على من يشاء من عباده، حيث بينت حقيقة الإيمان وقيمته، ويتضح ذلك من خلال الرد على الأعراب الذين مَنُّوا بالإيمان سمعة ورياء وهم لا يدركون حقيقته، ولا يقدرون منَّة الله عليهم بالهداية والتوفيق له، ومن هنا نلاحظ أن السورة ختمت بالآداب والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون مع ربهم، وبينت قدر نعمة الله علينا بالإيمان، الذي هو دافع التحلي بالأخلاق الحسنة التي جاءت السورة تثبتها في المسلمين، وتضع عنهم في المقابل ما كانوا عليه من جفاء وغلظة في التعامل والخطاب فالسورة من أولها إلى آخرها تعالج الأخلاق السيئة وتغرس مكانها حدائق من الآداب والمكارم المسقية بماء الإيمان الصادق والتوحيد الخالص.

---

(1) – ينظر: نظرات في كتاب الله، حسن البنا،(479/1).

(2) – ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (274/26).

(3) – ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (135/5).

الفرع الخامس: ربط الآيات بالواقع.

كثيرون اليوم الذين يفتخرون ويمنون بدخولهم في الإسلام، ويظهرون أنهم مؤمنون، ولكن أعمالهم تثبت العكس فتراهم لا يحافظون على حدود الله وأوامره، ولا يدافعون عن الإسلام وثوابته، بل يرجعون كل ضعف في الأمة له،ويقولون بعدم صلاحيته لهذا العصر، ويرمونه بالرجعية والتخلف، وهذا الذي يفعله الضعفاء والمندسون بالمنِ على الله ورسوله والمؤمنين بإسلامهم، إنما هو من باب التغطية على حقيقة انتسابهم للإيمان المزعوم، وهم يظنون أن الله غافل عنهم، لا يراهم ولا يعلم ما تكنه صدورهم من غدر وعداء، ومكر ودهاء، فهؤلاء ليسوا من المؤمنين الصادقين، ومثل هذه الأخلاق لا يرضاها الله لعباده المؤمنين، وإنما يرضى لعباده آدابا وأخلاقا صادقة تلامس قلوبا مؤمنة صادقة مخلصة لله تعالى.

رلخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تتنزل البركات أن وفقني لإتمام هذا البحث، الذي تناول المقاصد القرآنية في سورة الحجرات، وفي الختام أود أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

1- اشتمال القرآن الكريم على الكثير من القضايا العقدية والأحكام والأخلاق، التي جعلها الله هداية للبشر ورحمة بهم.

2- إن علم المقاصد من أهم العلوم المتعلقة بالقرآن العظيم، لأنه يساعد على تدبر معاني الكتاب وإدراك مراميه.

3- تضمنت سورة الحجرات مجموعة من الآداب والأخلاق التي إن التزمنا بها أدت إلى تحقيق مجتمع مترابط الأواصر متماسك البنيان، مكفول الحرمات ومصون الأعراض.

3- علم المناسبات علم جليل له فوائد جمة، منها أنه يعين على بيان مقاصد الآيات، فيجلى خفيها ويقوى ظاهرها.

4- مقاصد السورة هي أصل معانيها التي ترجع إليها، وهي تعين على بيان مراد الله من كلامه وفهمه فهما صحيحا.

5- معرفة مقصد السورة يبين محكم نظمها و فائدة مناسبات آياتها مع بعضها، مما يظهر إعجاز القرآن وعظمته.

6- قصدت السورة الحث على طاعة الله ورسوله، والتأدب في الخطاب مع النبي ﷺ، وعدم رفع الصوت بحضرته.

7- أمرت السورة بالتثبت والتروي من الأخبار، وعدم التسرع في تصديقا مخافة وقوع الفتن والحروب.

8- حثت السورة على تمتين روابط الأخوة، والإصلاح بين المسلمين في حال وجود الشقاق والتفرق.

9- قصدت السورة معالجة الأخلاق الذميمة كالسخرية واللمز والتنابز بالألقاب، وكذا الظن والتجسس والتحذير منها، وغرس الأخلاق الفاضلة وترسيخها.

10- ختمـت السـورة ببيـان حقيقـة الإيمـان وتصـحيحه، وتقريـر أن المنـة لله علينـا أن هـدنا للإيمان ووفقنا له.

وبعد عرض النتائج المتوصل إليها، لا يسعني إلا أن أتقدم ببعض التوصيات :

- دراسـة سـورة الحجـرات مـن ناحيـة أخـرى، مـثلا دراسـتها دراسـة تربويـة أو أخلاقيـة، لأنهـا سورة عظيمة وتحتوي على عدة موضوعات جديرة بالدراسة.

- توسـيع البحـث بدراسـة سـور أخـرى مـن القـرآن الكـريم وبيـان مقاصـدها، لتعـرف علـى أهداف القرآن ومقاصده.

وفي الأخـير أدعـو الله أن أكـون قـد وفقـت في السـير علـى مـا رسمتـه في خطـة هـذا البحـث، فمـا كـان مـن توفيـق فمـن الله وحـده لا شـريك لـه، ومـا كـان مـن خطـأ فمـن نفسـي ومـن الشيطان.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

الفهـــــــــــــارس

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأحاديث والآثار.

3- فهرس الأعلام المترجم لهم.

4- فهرس المصادر والمراجع.

5- فهرس الموضوعات

شطر الآية	السّورة ورقمها	رقم الآية	الصّفحة
سورة النحل [16]			
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾		9	10
سورة ص [38]			
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾		29	17
سورة الحجرات [49]			
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ﴾		1	22-23-43-44
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾		2	2-25-46
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾		3	46
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾		4-5	26-46
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾		6	17-51
﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾		7	51
﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾		8	51-52
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾		9	27-28-55
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾		10	55-56
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾		11	30-58
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾		12	58-60
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾		13	31-33-58
﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾		14	63
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾		15	63

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾	16	66
﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ﴾	17	31
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	18	39
السورة: ق[50]		
﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾	3	39
﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾	4	39

طرف الحديث	رقم الصفحة
إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله	47
إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي	27
أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة	28
أنا الذي كنت أرفع صوتي	25
أنه شدد النكير على رجلين من غير المدينة رفعا أصواتهما	47
أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ	22
فَآلَيْتُ على نفسي	25
فينا نزلت الآية؛ قدم رسول الله ﷺ المدينة	30
قدم وفد بني أسد على رسول الله ﷺ فتكلموا	31
قلت يا نبي الله لو أتيت عبد الله بن أُبَيٍّ	28
لما كان يوم الفتح	31
ما أردت إلا خلافي	24
يا جارية! خَوِّصِي له سويقاً	23
يا محمد! اخرج إلينا	26

فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم	رقم الصفحة
إبراهيم بن موسى الشاطبي	17
ابن أبي مليكة	24
أحمد بن عبد السلام بن محمد الريسوني	11
أسامة بن زيد بن حارثة	28
الأقرع بن حابس بن سفيان التميمي	23
أنس بن مالك بن النضر الأنصاري	28
بلال بن رباح الحبشي المؤذن	31
ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري	24
جبيرة بن الضحاك بن خليفة	30
جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي	33
سعد بن عبادة بن دليم بن الخزرج	28
عائشة بنت أبي بكر الصديق	23
عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة	25
عبد العزيز بن عبد السلام	14
عبد الله بن أُبيّ بن سلول	28
عبد الله بن الزبير بن العوام	22
عبد الله بن رواحة بن ثعلبة	29
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب	31
عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة الصديق	22
علال الفاسي	11
عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي	22
القعقاع بن معبد	22
محمد ابن أحمد بن سعيد بن عقيلة	24
محمد الطاهر بن عاشور	11

محمد رشيد بن علي رضا	14
مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعي	23
الوليد بن عقبة بن أبي معيط	27

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. الإتقان، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لا:ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م.
2. الأحاديث المختارة، أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين المقدسي، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط:3، بيروت – لبنان، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، 1420 هـ - 2000 م.
3. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط:5، دمشق، دار القلم، 1420هـ، 1999م.
4. أساس البلاغة، للزمخشري، الزمخشري ،تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط:1، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، 1419 هـ - 1998م
5. أسباب نزول القرآن، الواحدي، تحقق: كمال بسيوني زغلول، ط:1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411 هـ.
6. الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر، ط:1، المملكة العربية السعودية، 1425هـ.
7. الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط:1، بيروت ، دار الجيل، 1412 هـ - 1992 م.
8. أسد الغابة، لابن الأثير، - بيروت، دار الفكر، 1409هـ - 1989م
9. أسرار ترتيب القرآن، السيوطي، لا:ط، لا.م، دار الفضيلة، لا.ت.
10. أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة محمد ناصر الدوسري، ط:1، المملكة العربية السعودية، دار بن الجوزي، 1426هـ.
11. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ط:1، بيروت، دار الجيل، 1412هـ.

12. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، لا:ط، لا.م، دار علم الفوائد، لا.ت.
13. الأعلام، الزركلي، ط:15، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، 2002م.
14. أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ط:5، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، مكتبة العلوم والحكم، 1424هـ/2003م.
15. البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، لا:ط، المغرب، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 1410 هـ - 1990 م.
16. البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:1، لا.م، : دار إحياء الكتب العربية ، 1376 هـ/ 1957 م
17. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، لا:ط، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي،لا.ت.
18. البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط:1، الكويت، لا.د، 1414 هـ/ 1994م.
19. تاج العروس، محمد الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، لا:ط، لا.م، دار الهداية، لا.ت.
20. التحرير والتنوير، ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م.
21. تسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط:1،لا.م، مؤسسة الرسالة، 1420هـ -2000 م
22. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، لا:ط، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ،1383 هـ..
23. تفسير القرآن العظيم، بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط:2، لا.م، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م.
24. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب،لا:ط، القاهرة، دار الفكر العربي، لا.ت.
25. التفسير الكبير، الرازي، ط:3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ..

26. تفسير المراغي، مصطفى المراغي، ط:1، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ، 1365 هـ - 1946 م.
27. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط:2، مصر، دار المنار،1366هـ، 1947م.
28. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط:2، بيروت ، دمشق، دار الفكر المعاصر،1418 هـ.
29. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من العلماء، ط:1، الإمارات المتحدة، الشارقة، 1431هـ/2010م.
30. التفسير الواضح ، محمد محمود الحجازي، ط:10، بيروت ، دار الجيل الجديد،1413 هـ.
31. تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا النووي، لا:ط، لا.م، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، لا.ت.
32. تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط:1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001م.
33. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط:1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م.
34. الجامع الصحيح ،البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط:1، لا.م، دار طوق النجاة، 1422هـ
35. الجامع الصحيح، البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،ط:1، لا.م، دار طوق النجاة، 1422هـ
36. الجامع لأحكام القرآن،القرطبي، تحقيق : هشام سمير البخاري، لا:ط، المملكة العربية السعودية دار عالم الكتب، الرياض، 1423 هـ/ 2003 م.
37. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:1، دار إحياء الكتب العربية، 1967م.
38. الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي، ط:1، الإمارات العربي المتحدة، الشارقة، 1423هـ.

39. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد الألباني، ط:1، الرياض، مكتبة المعارف، 1422هـ/2002م.
40. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل الحسيني، ط:3، لا.م، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، 1408 هـ - 1988 م
41. السنن الكبرى، النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط:1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ/ 2001م.
42. سير أعلام النبلاء، الذهبي، لا:ط، القاهرة، دار الحديث، 1427هـ، 2006م.
43. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، لا:ط، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، 1349هـ.
44. شذرات الذهب، عبد الحي العكري الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط:1، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، 1406 هـ - 1986 م.
45. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط:4، بيروت، دار العلم للملايين، 1407 هـ - 1987 م.
46. الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوادعي، ط:4، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، 1408هـ، 1987م.
47. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط:1، القاهرة ،دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، 1417 هـ / 1997 م
48. الضوء المنير على التفسير، ابن قيم الجوزية، لا:ط، الرياض، مكتبة دار السلام، لا.ت.
49. طبقات الشافعية، لابن قاضى شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط:1، بيروت، دار النشر : عالم الكتب، 1407 هـ .
50. علم مقاصد السور، محمد بن عبد الله الربيعة، ط:1، لا.م، 1432هـ، 2011م.
51. فتح القدير، الشوكاني، ط:1، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414 هـ.

52. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، ابن الجوزي، تحقيق حسن ضياء عتر،ط:1، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1408هـ/1987م.
53. في ظلال القرآن، سيد قطب ، سيد قطب، ط:17، بيروت- القاهرة، دار الشروق 1412 هـ.
54. قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، العز بن عبد السلام،تحقيق: نزيد كمال حماد، عثمان جمعة ضميرية، لا:ط، دمشق، دار العلم، لا.ت.
55. القواعد الحسان لتفسير القرآن ، السعدي ، ط:1، الرياض، مكتبة الرشد، 1420 هـ - 1999 م.
56. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ط: 3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407 هـ.
57. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، أحمد بابا التنبكتي، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، 1421هـ، 2000م.
58. لسان العرب، لابن منظور، لا:ط، القاهرة، دار المعارف، 1119هـ.
59. لطائف الإشارات، القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط:3، مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، لا.ت.
60. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفي مسلم، ط:4، لا.م، دار القلم، 1426هـ - 2005م
61. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط:3، لا.م، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1421هـ- 2000م.
62. مجتمع المثل، عائض القرني، ط:1، لبنان، دار بن حزم، 1420هـ/2000م.
63. محاسن التأويل، محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط:1، بيروت، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ .
64. المحرر الوجيز من تفسير الكتاب العزيز، بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد

65. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد المزيني، ط:1، المملكة العربية السعودية،دار ابن الجوزي، 1427هـ،2006م.

66. مختار الصحاح، زين الدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط:5، بيروت، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، 1420هـ / 1999م.

67. المدخل إلى مقاصد القرآن، عبد الكريم حامدي، ط:1، المملكة العربية السعودية، مكتبة الرشد، 1428هـ/2007م.

68. المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ط:1، القاهرة، دار الحرمين، 1417هـ/1997م.

69. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض السبتي،لا:ط، لا.م، المكتبة العتيقة ودار التراث.

70. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم البقاعي، ط:1، الرياض، مكتبة المعارف، 1408 هـ - 1987 م.

71. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط:4، مصر، مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ/2004م.

72. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، لا.م، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

73. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، ط:5، لا.م، دار الغرب الإسلامي، 1993م.

74. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر الميساوي، ط:2، ، الأردن، دار النفايس، 1421هـ، 2001م.

75. مقاصد المقاصد: الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، الريسوني، ط:1،بيروت، الشبكة العربية للأبحاث، 2013م.

76. منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا الشافعي ، تحقيق: سليمان بن دريع العازمي، ط:1، المملكة العربية السعودية، مكتبة الرشد، 1426هـ، 2005م.

77. منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، ط:4، المدينة المنورة، دار السلام، 1384هـ/1964م.
78. الموافقات، إبراهيم الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط:1، لا.م، دار ابن عفان، 1417هـ/ 1997م
79. الموقع الرسمي لدكتور الريسوني: (www.raissouni.ma)، تمت زيارة الموقع يوم:23مارس2016م.
80. نظرات في كتاب الله، حسن البنا، لا:ط، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1423 هـ / 2002 م.
81. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، ط:4، لا.م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1415هـ/1995م.
82. النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ/ 1979م.
83. نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، أحمد التنبكتي، ط:1، ليبيا، طرابلس، 1398هـ/1989م.
84. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب المستو، ط:2، لا.م، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية،1418هـ/1998م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
ملخص الدراسة باللّغتين العربية والإنجليزية	
المقدَمـــة	أ- ز
الفصل الأول:التعريف بالمقاصد القرآنية وسورة الحجرات والمناسبات في السورة.	
المبحث الأول: تعريف المقاصد القرآنية ودرجاتها وأهميتها.	
المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحا.	10
الفرع الأول: لغة.	10
الفرع الثاني: اصطلاحا.	11
المطلب الثاني: تعريف القرآن الكريم.	12
الفرع الأول: لغة.	12
الفرع الثاني: اصطلاحا.	13
المطلب الثالث: تعريف المركب الإضافي المقاصد القرآنية.	14
المطلب الرابع: درجات المقاصد القرآنية وأهميتها.	16
الفرع الأول: درجات المقاصد القرآنية.	16
الفرع الثاني: أهمية معرفة مقاصد القرآن.	17
المبحث الثاني: التعريف العام بسورة الحجرات.	
المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها وترتيبها.	20
الفرع الأول: اسمها.	20
الفرع الثاني: عدد آياتها وترتيبها.	21
المطلب الثاني: سبب نزولها.	22
المطلب الثالث: زمان ومكان نزول السورة.	33
المطلب الرابع: المحور الأساسي لسورة الحجرات.	34

المطلب الخامس: أغراض السورة.	35
المبحث الثالث: المناسبات في السورة.	
المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحا.	37
الفرع الأول: لغة.	37
الفرع الثاني: اصطلاحا.	37
المطلب الثاني: مناسبة سورة الحجرات لما قبلها.	38
المطلب الثالث: مناسبة سورة الحجرات لما بعدها.	39
المطلب الرابع: مناسبة مطلع السورة لخاتمتها.	40
الفصل الثاني: مقاصد سورة الحجرات.	
المبحث الأول: طاعة الله ورسوله، والتأدب في الخطاب مع النبي ﷺ.	
المطلب الأول: طاعة الله ورسوله ﷺ.	43
الفرع الأول: المعنى العام للآية.	43
الفرع الثاني: مقصود الآية.	44
الفرع الثالث: علاقة الآية بمحور السورة.	44
الفرع الرابع: ربط الآية بالواقع.	45
المطلب الثاني: التأدب في الخطاب مع النبي ﷺ.	46
الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.	46
الفرع الثاني: المعنى العام للآيات.	46
الفرع الثالث: مقاصد الآيات.	48
الفرع الرابع: علاقة الآيات بمحور السورة.	49
الفرع الخامس: ربط الآيات بالواقع.	49
المبحث الثاني: آداب عامة.	
المطلب الأول: وجوب التثبت في الأخبار.	51
الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.	51

الفرع الثاني: المعنى العام للآيات.	51
الفرع الثالث: مقاصد الآيات.	53
الفرع الرابع: علاقة الآيات بمحور السورة.	53
الفرع الخامس: ربط الآيات بالواقع.	54
المطلب الثاني: فض الخلاف والإصلاح بين المؤمنين.	55
الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.	55
الفرع الثاني: المعنى العام للآيات.	55
الفرع الثالث: مقاصد الآيتين.	56
الفرع الرابع: علاقة الآيتين بمحور السورة.	57
الفرع الخامس: ربط الآيات بالواقع.	57
المطلب الثالث:آداب المؤمن مع المؤمن ومع الناس كافة.	58
الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.	58
الفرع الثاني: المعنى العام للآيات.	59
الفرع الثالث: مقاصد الآيات.	60
الفرع الرابع: علاقة الآيات بمحور السورة.	61
الفرع الخامس: ربط الآيات بالواقع.	61
المبحث الثالث: أصول الإيمان الصحيح.	
المطلب الأول: حقيقة الإيمان والإسلام.	63
الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.	63
الفرع الثاني: المعنى العام للآيات.	63
الفرع الثالث: مقاصد الآيتين.	64
الفرع الرابع: علاقة الآيتين بمحور السورة.	64
الفرع الخامس: ربط الآيات بالواقع.	65
المطلب الثاني: عدم المن على الله بالدخول في الإسلام.	66

الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها.	66
الفرع الثاني: المعنى العام للآيات.	66
الفرع الثالث: مقاصد الآيات.	67
الفرع الرابع: علاقة الآيات بمحور السورة.	67
الفرع الخامس: ربط الآيات بالواقع.	68
الخاتمة	
قائمة الفهارس	
فهرس الآيات القرآنية	
فهرس الأحاديث النبوية والآثار	
فهرس الأعلام المترجم لهم	
قائمة المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	